هلوساتي
ورسائل مشفرة

خواطر

دار الوطن
للصحافة والطباعة والنشر

أميرة الليل

هلوساتي ورسائل مشفرة

خواطر

دار الوطن
للصحافة والطباعة والنشر

الكتاب : هلوساتي ورسائل مشفرة
الكاتب : أميرة الليل
الصنف : خواطر
الإيداع القانوني: 2016MO2486
الترقيم الدولي : ISBN : 978-9954-648-18-6
الطبعة الأولى : ماي 2016
الناشـــر :

دار الوطن
للطباعة والنشر

عمارة 7 زنقة الكوفة رقم 1 شارع مولاي يوسف الرباط المغرب
أرقام الهاتف:
مكتب: 212537703936+
جوال: 212673420256+
بريد إلكتروني: daralwatan2018@gmail.com
daralwatan2012@gmail.com
موقع إلكتروني: www.daralwatan.com
التصميم الداخلي والغلاف : هـنـد الـسـاعـدي
السحب :
L'IMPRIMEUR s.a.r.l
الهاتف : 05 37 83 30 30

مقدمة الناشر

يسر دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر بالرباط في المملكة المغربية، أن تقدم لقرائها في المغرب والعالم العربي صوتا أدبيا جديدا ونصا متميزا لمبدعة من أقصى شرق الوطن العربي يتضمن خواطر أبت الكاتبة الناشئة إلا أن تتشاركها مع من يؤمن مثلها بالكلمة في مختلف أبعادها..

فبعد مقاومة شرسة مع المرض والوحدة والاغتراب،كانت تتخللها أحيانا كثيرة هدنة،تفرضها الظروف والمواقف أو ربما هي استراحة المحارب.

وبعد اتخاذ القرار الحاسم للرضوخ لغواية الكتابة هاهي الأديبة الأريبة المتحدية : أميرة الليل(+)

تكسر قوقعة الوحدة وتتحرر من شرنقة التردد لتنطلق في فضاء بياض الصفحات تزخرفها بأحاسيس جياشة وصادقة،تبثها آلامها وآمالها كما تقول في نهاية باكورتها الأدبية الوجدانية (هلوساتي ورسائل مشفرة)

« المهم أن الأوراق البيضاء لم تنتهي بعد،طالما أن الذي يمنحني إياها هو علام الغيوب ،يعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسه»

إن الآلام تصنع التحدي أحيانا،وهذا ما ينطبق على كاتبتنا

الناشئة التي نتوقع لها مستقبلا أدبيا رفيعا بين أخواتها من الأديبات العربيات اللواتي شققن طريقهن بإصرار المؤمنات بدور الكلمة ورسالتها .

الكثيرون والكثيرات من الكتاب العرب من مشرقه إلى مغربه ومن خليجه إلى محيطه،مرورا بمن يقيم منهم في أرض المهاجر الأوروبية والأمريكية ..اختاروا دار الوطن لنشر إبداعاتهم الأدبية ومؤلفاتهم الفكرية إنطلاقا مما لمسوه فيها من جدية وحرص على احترام حقوق الآخرين ،لكن ما يميز هذا العمل الأدبي الجديد للكاتبة العُمانية (أميرة الليل) أنه أول عمل أدبي من سلطنة عُمان الشقيقة يطبع في دار نشر بالمملكة المغربية.

فإلى هذا السفر الممتع..

عبد النبي الشراط
مدير دار الوطن

(+) أميرة الليل إسم مستعار اختارته الكاتبة لنشر إبداعاتها تحت يافطته.

كل ما أملك أن أقدمه الآن ..وعلى طبق من سحاب
سحاب ماطر
يمطر كل أفكاري ..آمالي..ذكرياتي..هلوساتي..تطلعاتي
إليكم
وفي مثل هذه الحالة من
التوقد
العنفوان
الهوس
ثم لحظة الخمود
والانكماش
والنار تخلف رماد
من رمادي المتطاير
من ناري المضطرمة
ومن داخل التنور
وفي غيابة الجب
أقدم لكم
صراخي .....هلوساتي
وفي النهاية
لا أبالي إن لم يكن أحد يسمع لي...المهم أن أتكلم

كيف كتبتك؟

هذا الكتاب الذي بين يديك كان نتيجة لصراع مع الألم، كتبته في أقل من أسبوعين، لم أكن أشعر بشيء حين كتبته أكثر من شعوري بألم القلم الذي أمسكه بين يدي ؛ فلم أتعود الكتابة كثيرا بالقلم ولمدة طويلة، أخرجت فيها كل ما كان مكبوتا داخل جمجمتي ولم يقدر له الخروج إلا الآن فقط، أنا كاتبة مجهولة، أعشق الكتابة بهدوء، ولست بحاجة لصخب من حولي لأخلق من نفسي عظيمة، فقط أكتب في أي وقت ومتى ما شئت وبأي طريقة أعشقها وفي أي مكان أصادفه، قد ينصفني البعض ويظلمني الكثيرون، المهم عندي هو بماذا سيحكم المتمرسون ؟

وهذا لا يهمني لنفسي بقدر ما هو مهم لكتاباتي الفلسفية والفكرية أن تتحسن، لست بحاجة إلى ألقاب، فأنا متأكدة أني سأصنعها يوما من الأيام.

لا زلت أذكر الليالي التي قضيتها وأنا أفرغ شحناتي الفكرية حتى لا ينفجر دماغي، كنت أرتاد موقع السبلة الإلكتروني كثيرا لأكتب كل ما أشعر به، فلم أجد إلا التجريح والإهانة والمذلة، حتى أن أهلي منعوني من ارتياده والرد على زواره ؛

لذلك تذكرت قوله تعالى وأنا أحاول تهدئة نفسي : «علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم»، وأيقنت بعدها أن القلم عزة وشموخ، وهدوء وإتقان، القلم يبعدك عن مذلة كل من يحاول ذلك، فأنت هنا تحاور ذاتك، وتخلق لها الجمهور الذي يستحقها، لا الجمهور الموجود حولك، فالمهم أن أقول ما أريد، ليس المهم أن يسمعك أحد.

مؤلم جدا الشعور بالاكتئاب، والأكثر إيلاما منه هو التعرض لفورة من الهوس ؛ لأن الاكتئاب خمول وضيق وهم، ولكن مع وجود عقلك ولو قليلا منه. أما الهوس فيجعلك مثل المجنون، ولا أحب أن أكون مجنونة أبدا؛ لأني سأفقد كل ما أملكه وخاصة شعوري بنشوة العظمة والطموح، معظم كتاباتي التي كتبتها تتأرجح بين الاثنين الاكتئاب تارة والهوس تارة أخرى، إلا الكتابات الأخيرة لأن جرعات الدواء ضوعفت فقل الاثنين إلى أجل غير معلوم؛ رغم ذلك كله فجمال روحي ولو بنسبة قليلة هو الطاغي.

حاولت أن أطعّم كتاباتي وأفكاري هنا برسائل مشفرة كنوع من الإبهار فقط، وعرجت أيضا لذكريات الطفولة لعل من يسمعني تكون له وجهة نظر أو رؤية مختلفة للموضوع، تجعله يشكل لوحته الخاصة، وهذا ما لا أمانعه، لن أصرح بشيء علانية بما يتعلق بمرضي، فقط سأتبع مبدأ «اللبيب بالإشارة يفهم»، كل ما أتمناه، أن يشعرك الكتاب فقط بأنك في عالم آخر غير الذي تعيشه، فالكتاب عقل آخر يضاف إلى عقلك، فقط كن بخير وأنت تستمع إلي، فلربما ازددت حزنا وضيقا، فالحزن لا يورث غير الحزن. لا أبتغي أحيانا غير العظمة والمجد من هذه

السطور، وأحيانا أرى أني شخص آخر يروم المتعة والفائدة، وأحيانا أخرى لا أدري ما الفائدة من هكذا كتابات، لربما ألهمني كتاب «عقل غير هادئ» للكاتبة الباحثة كايردفيلدجايمسون فأحببت أن أمشي على نهجه، ولكن بطريقة مختلفة وأكثر جمالا .الجمال لا يشعرك به المظهر، بقدر ما يشعرك به الإحساس ؛ لذلك وأنت تقرأ اشحذ كل طاقاتك الجمالية النفسية والروحية، فأنا متيقنة أنك ستجد أنيسا لك هنا يفهمك وتفهمه، فقط كن بأجمل حالاتك !

ما أمرّ به الآن وأنا أكتب هذا الكتاب قد يكون مر به ثلة قليلة جدا ممن هم في مثل سني، لكن نادرا بل ينعدم أن يخرج أحد منهم ويتكلم أمام الملأ عن قصته، وطالما أن هذا الفعل غريب وشاذ، لم أشأ أن أشذ عنهم، ولكن في نفس الوقت لم أشأ أن أصمت فأكون معهم ؛ لذلك أخترت أمرا وسطا بين هذا وذاك، فلم أتبع منهج التصريح في كتاباتي بقدر ما أتبعت منهج الإشارة والسرد لبعض الحوادث، لعل من لديه علم - رغم جهلي وقلة علمي وحيلتي- أن يكتشف شيئا يساعد هذه الأعداد التي تزداد سنويا وتتعرض لما يشابه حالتي، ذكرت الكثير من الأمور الفكرية علها تساعد الراغبين في البحث والتقصي، فلربما يكون للبعض رؤية أخرى غير الذي أرى، ولربما أضاء لي نقدهم وتعليقاتهم ظلام الحيرة التي تلفني وتجعلني في تيه وألم، ولربما سأل سائل هنا بعد هذا الكلام : «هل هذه إشارة على عدم ثقتك بالطب الحديث وتحليله»، والإجابة لا طبعا، وإنما لم يقدم لي الطب الحديث دليلا، كما لم يقدم لي نظيره دليلا أيضا، والقضية التي أرى ذكرها هنا، هي قضية ثقافة

مجتمع أكثر من قضية طبية يكون حلها في أروقة المستشفيات فقط، والأولى أن يكون تناولها تناولا ثقافيا علميا محضا، أي أن يجمع بين الاثنين، فلعل ثقافة المجتمع الدينية لديها قول آخر، كما أن لوالدي قول آخر غير الذي يراه طبيبي ومرشدي.

قد تمر عليك أمور بديهية أو تعرفها سابقا، قد ذكرتها أحيانا من باب: وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وأحيانا أخرى تقبع خلف الأسطر المعلومة المعنى أمور مجهولة لا تعلمها، فقط تريث وأقرأ بتأني فأن بعد العسر يسرا، وبعد الشدة الفرج بإذن الله.

تيقن وأنت تقرأ سطوري هذه أو رسائلي المشفرة، أن هذا الكتاب لم يخرج بسهولة - رغم شح المعلومات التي فيه - ؛ لكونه كتابا فكريا فلسفيا أكثر من كونه كتابا معلوماتيا ؛ ولأني أؤمن دائما أن الفكر المجرد سيد كل المواقف، جاءت تحاليلي مادة خام مجردة من كل تبعية ؛ لأبرهن للقارئ أني شخص لا أحبذ غير الاستقلالية الفكرية، وأكتب فقط ما توصلت إليه بالملاحظة والتجربة، ولربما لتأثري بالمنهج التأملي أكثر من مناهج الثقة العمياء لما وصلنا من السلف القديم، في النهاية لا يعبر هذا الكلام إلا عن أفكاري وتوجهاتي التي بنتها الخبرة والتجربة مع ما توافق معهما مما قرأته في الكتب وعالم الشبكة العنكبوتية، فخذ منه ما يفيدك في حياتك، وما لا يعجبك دعه، لكن حذاري من أن تصبح عائقا وحائلا أو حجر عثرة أمام أفكاره أن تصل للجميع، فاختلاف الرؤى هو سر التنوع الفكري والإبداعي العقلي، ولولا اختلاف الأذواق لبارت السلع. رغم ذلك يهمني رأيك كثيرا، وإن كنت في جهة مخالفة لجهتي، ومع فريق معارض لتوجهاتي، وضعت في هذا الكتاب سرا وجهرا، خفية

وظاهرا، كل ما تحتاجه لتصلني، فقط كن حذقا لبيبا -وهذه ثقتي بك- وتسلح بكل ما تستطيع من قوى تملكها ذهنية أو غيرها، لأن كلامي متعب أحيانا، وسردي ثقيل على النفس، ستشعر به من خلال سطوري، تذكر واتعظ بكل ما تقرأه، فالوقت أثمن من أن نضيعه هكذا عبثا.

لن أزعم المثالية وأقول أني ابتغيت بهذا الكتاب وجه الله ؛ فإن لي نفس تواقة كما كانت لإمام العادلين وسادس الخلفاء الراشدين، ولكن متيقنة أني لم أبغي به ضررا، وهذا هو المهم، فكتاب ينفعك ولا يضرك وإن كان لغير وجه الله، خير من كتاب يضرك ولا ينفعك ولوجه الله. والحمد لله أولا وأخيرا على نعمه حمدا تنشق الجبال لثقله، وتنفجر منه البحار لشدته، حمدا يشفع لي عن غاياتي ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أميرة الليل

Do not lose hope

لا شيء يضاهي في الحياة خوفي وارتعاش أوصالي وكياني ورعبي أحيانا كثيرة، لربما لو طرحت مثل هذا السؤال سابقا وقبل سنين مثمرة قبل سنواتي العجاف هذه، أي قبل مرضي وذبولي، لكانت الإجابة طموحي،ورغبتي في العظمة والمجد،الذي لا أنفك أطلبه في كل حركاتي وسكناتي، أما الآن وفي مثل هذه الحالة من الإجهاد والخمول، الحالة التي أكتب بها أحايين كثيرة هنا، لا يوجد ما يضاهي ذلك الرعب والخوف الذي ولده لدي الذبول المفاجئ داخل كياني وقلبي وعقلي وكل أعضائي، وأنا أكتب كتابي هذا حقيقة لم أكترث لمشاعر من حولي ولا يهمني غضب من غضب، ولا حزن من حزن ؛ طالما أني أكتب بتيه ولا يدري قلمي ما خطه في أول سطره حتى يدري ما ستؤول إليه نهاية هذه الكتابات، أكتب وكأني أشعر أن كوكب الأرض بجباله وعمالقته كله يجثو فوق صدري فيكتم أنفاسي ويخنق آهاتي، فتخرج على شكل عبارات متأوهة حزينة مكبوتة. سأدع غضب وانفعالات الجميع للقدر، لعله سيغدق علي بكرمه، ويجود علي بفضله، فيتطوع رغبة لا رهبة، نيابة عني، فيصلح بيده المخملية ما أفسدته هنا واعية أو غير

واعية، في لحظة عنفوان واتقاد أو في لحظة خمول وانكماش، فهو أعلم مني بظروف واقعي، وأحوال معيشتي التي أخرجت مني جسدا منهكا تارة، وأحيانا أخرى مجنونا لا يجيد سوى الهذيان.
لا يهمني في هذه اللحظة التي أخط فيها بداية كتابي هذا غير أن أجد بداية لنفسي، لا أكثر من هذا ولربما أقل، وأرسم بجانبه خطة نهايته التي أشعر بها حولي ولكن بلباس قاتم، هلوساتي، أفكاري، مبادئ، ذكرياتي هي الشيء الوحيد الذي لا يزال ملكي في هذه الفترة، الفترة التي أجد فيها نفسي لا أملك شيئا آخر أكثر من جسدي، أذرع به البيت، سجني إلى أجل غير مسمى، جيئة وذهابا .هلوساتي لا تزال تطرق باب جمجمتي راغبة في الخروج معلنة بداية المشوار بجملة قالها لي غريب مر على صفحتي في الفيس بوك يوما وصاح بأعلى صوته :،Please "Do not lose hope"

لا أدري أين أجد الأمل ؛ وليس لي عين ترى بصيص منه، ولا أدري أين أشعر بالسعادة ؛ ولم تعد لدي أحاسيس أبدا، لا يوجد في هذه اللحظة أكثر من رغبتي في الحفاظ على كياني حيّا ولو بتوفر أقل مقومات الحياة وهي النَفَس، وكأني وأنا أقول هذا أشعر بالأكسجين !!، وأنا التي تفيق من نومها كثيرا بشعور غريب بانقطاع النفس وأبخر المكان فقط لأبرهن لنفسي أني مازلت أتنفس، لعل كتابتي هذه ستساعدني على التنفيس قليلا ولو قليلا، لربما !

I am proud of you

مسيرتي التعليمية لا تزال مشرفة ظاهريا، على الأقل بالنسبة لذكرياتي التي لا تزال قابعة في أروقة وأجنحة فنادق دماغي الخاصة والتي عنونتها بفنادق تحت الصفر، شهادات التفوق هذه التي أحدثكم عنها والتي يضج بها مكتبي الصغير في أعلى دولاب ملابسي تكاد تصرخ ضجرا لكثرتها ولطول إقامتها ؛ ورغم ذلك فهذا كله لا يشعرني بالزهو ولا الفخر بتلك الأيام الخوالي ؛ لربما لكثرة المصائب والمحن التي واجهتها ولربما أن الفخر والزهو لا يشعرك به مجرد ورق بائس، بل يشعرك به الكلام الطيب والأفعال الحسنة، وردّات الفعل الطيبة لأفعالك وسلوكياتك الحميدة .

رغم شرود ذهني وضعف الذاكرة التي يسببه لي الدواء والعقاقير الطبية التي أتناولها، والتي تزداد جرعاتها مع مرور الأيام، إلا أن ما أذكره من تلك الفترة المنصرمة، هو قول ذلك الأمريكي الذي مر يوما على صفحتي في الفيس بوك عابرا وقال لي : «I am proud of you" ؛ لربما هذه الكلمة الوحيدة التي تحلم ألف مرة أن تسمعها في بلدك وتفيق كل ليلة من نومك حتى قبل أن تحلم.

هو لا يدري أني وصلت لمرحلة بتّ أملك منها أذن لا تسمع إلا السيء وعقل لا يفهم إلا الرديء ومجسات حسية لا تستقبل إلا الألم ؛ لذلك لم أستقبل كلماته بتلك الحفاوة التي لو قيلت لي سابقا لاستقبلته بها .عموما في النهاية لعله سيدرك أني لا أزال ابنة البيئة التي ولدتني وصنعتني وأخرجت مني وحشا لا يعرف إلا الهيجان سواء كان ذلك في حالة عنفوانه أو حالة اكتئابه.هنا في بلدي لا يقدر غير العظماء وعشاق المجد ؛ وهذا يعلل سبب تطلعي الزائد لهذا المجد والعظمة، لربما لرغبة في نفسي أن أسمع عبارة «I am proud of you"، ولو من مواطن يحمل جواز مثل جوازي، وشهادة ميلاد تشبه شهادة ميلادي، لا أدري لماذا أنا متطلعة كثيرا للعظمة والمجد، ومعظم بني وطني ماتوا وهم لا يعرفون حتى معناها، ما الأهمية من أن تكون عظيما وصاحب مجد؟ لربما سأكتب في أحد الصفحات عن المجد والعظمة، ربما «أقول ربما !

الفضول

الفضول بالنسبة لي مصدر ومستودع جيد للمتعة والأنس والراحة، ووسيلة على درجة عالية من السرية من وسائل حب الاستكشاف للناس وبالأخص خصومك وألد أعدائك، ولا حاجة به إلا قليلا عندما يتعلق الأمر بأحد أصدقائك، لأن المحور الأساسي للفضول هي الأسرار، وطالما أنه ليس هناك أسرار بين الأصدقاء ؛ فنادرا ما نحتاجه في مثل هذه الحالات.

الفضول لا يتطلب أكثر من أن تحشر أنفك وتفتح أذنك، أو تخلق لك أذن كأذن الفيل الأفريقي، وبجانب كل ذلك تستمع بإنصات لكل شاردة وواردة، أحيانا كثيرة لا يتطلب الفضول أذن بل يحتاج إلى عين متأملة ومتفحصة تلاحق الحركات وردّات الفعل وتتابعها باستمتاع، وبعد كل هذه المعركة لتصيد وجمع المعلومات يأتي دور التحليل والاستنتاج ؛ لتتوصل إلى قاعدة أو قاعدتين تجعلانك في الطليعة. هذا هو الفضول بالنسبة لي، هي أحد أشهر الوسائل لاقتناص المعلومة ووسيلة مهمة من وسائل التعارف، وفي النهاية النتيجة مذهلة. حقيقة أؤمن بأن الفضول لا يجيده إلا المتحاذقون والنبهاء ؛ لأنه ليس حدث واحد فقط

وهو حشر الأنف أو استراق السمع بأدب بل هو عبارة عن أحداث مترابطة أولها هذه وآخرها تحليل واستنتاج وتوصل إلى نتيجة جديدة تضيف إليك شيئا، أحايين كثيرة يتطلب الفضول إجادة السؤال، واللباقة في الحوار، حتى تضمن عدم توقف المحاور عند نقطة لا يرغب في الكشف عنها.

الفضول لا يتولد إلا لمن لديه حب المعرفة، وحب المعرفة أحد أسس كسب العلم، أنا أؤمن أن الفضول مهارة لا يرومها إلا فئة قليلة من الناس، والفضول نوعين حسب جودته : فضول الأحداث أو فضول الأفكار، وأجود أنواع الفضول هو فضول الأفكار، فعادة فضول الأحداث يرتبط بفعل آخر، ألا وهو الغيبة، وهذا فضول سيء نظرا لنتائجه، أما فضول الأفكار فهو فضول حسنه حسن وقبيحه قبيح، فليس كل الأفكار ينبغي أن يكون الإنسان فضوليا في اكتسابها، فمن الأفكار ما إن تعمق فيها الإنسان أوردته موارد الهلاك والفساد مثل الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله. بإمكانك اعتبار الفضول هواية جيدةمرتبطة بالعلم، أما من يستخدم الحوار لتمضية أوقات الفراغ فقط، فأقول له، استمتع بحديث الجدّات، ودع الفضول لمن يجيده وكفى!

إياكم نعبد وإياكم نستعين

في عمان أتوقع أن الأغلبية بدل أن يرددوا في صلواتهم «إياك نعبد وإياك نستعين»، فإنهم يرددون مخاطبين الناس بقولهم : «إياكم نعبد وإياكم نستعين»، فلا شيء يتم إلا بواسطة من سمو الشيخ الفلاني ولا شيء يحدث إلا بمباركة معالي سمو الوزير الفلاني، لدرجة أن الثلة الكبيرة منهم ليسوا بحاجة إلى صلاة يرددون فيها "وإياك نستعين»، طالما أنه هناك «إياكم نستعين»، ويا ليت يقتصر الأمر على هذا فحسب، بل يتعدوه إلى أن يصل _سلمكم الله_ «إياكم نعبد»، فسمعة فلان أمام مجموعة ولو كانوا من الحثالة _ وما أكثرهم ولو حرصت بمؤمنين _ أهم عنده من سمعته بينه وبين ربه، ولربما لم ولن يبالي لو كان الله أهون الناظرين إليه، طالما أن الله يستره ولا يفضح أمره أمام الخلائق، ولا يهم كيف يبني هذه السمعة بالكذب أو التسلق على ظهور الخلائق والناس الفقراء إلى الله، المهم أن تبنى ولو بكلمة أو كلمتين ينافق بهما الناس، وتسري في الحي كسريان النار في الهشيم، وكذوبان الملح في الماء، وليس أكثر من سمعة أن يقولوا عنك مثقف طلبا في سوق نخاسة الكرامة العمانية، فهي سهلة المنال، طالما أنه هناك جدار خلفي تستتر

ورائه وصفحات إلكترونية تختبئ وتخفي خلفها شهوتك ونزوتك وجبروتك وقبح وجهك، والشيخ جوجل كمساعد سريع في الحصول على المعلومات، وفي النهاية المستمعين الذين هم مجموعة من الحثالة والحمقى ومضيعي الأوقات، الذين ينقلون أخبارك وكلامك كمراسيل يعملون لك ليلا ونهارا، حتى لا يظل بيت في عمان لم يسمع بكلامك . وبعد كل هذا الضمان على انتشار صيتك، يأتي دور لعب دور المحرر والمنقذ الفذ الذي لا يضاهيه مضاه، ويفتح لك باب حرية ممارسة أي تحرر تمنحك إياه كلمة مثقف لتقتنص الطرائد المسكينة التي قد تشدها وتغريها كلمة مثقف الموجودة بجانب اسمك الألمعي، والتي قد تلجأ إليك طلبا للمشورة أو المساعدة، أو التي تلجأ أنت لجذبها مستعرضا عضلاتك الأدبية وقدراتك الثقافية الخلاقة والمزورة في آن واحد، ومتى ما تحققت مآربك قمت بنشر أسرارها على الملأ لعلها تحطم آخر خطر ثقافي قد يحدق بك،وعليها وعلى من وثق بك مليون سلام !

بداية الصراع

كل هذه الحالة كانت بدايتها عندما كنت طفلة صغيرة، ذهبنا في أحد أيام الصيف لزيارة أهلي بالإمارات العربية المتحدة، كان ذلك موسم إجازة مدرسية، وكنت لا أزال لم أتجاوز السادسة من عمري، وكانت النخيل لا تزال في بداية إثمارها وإخراجها للرطب، وجدي ومنزله الكائن في العين الذي يحوي الكثير من أشجار النخيل الصغيرة، التي أثمرت رغم أنفها، وكانت لدينا عادة في عمان وهي الفاغور، يأخذون الرطب ويطبخونه، وكنا نأكل البسر قبل أن يصبح رطبا، وخاصة البسر الأولي في الإثمار، وكنا نشعر بنشوة عارمة ونحن نلتهمها، وفي تلك الزيارة أخبرت ابنة خالتي عن البسر وكيف نأكله قبل نضجه، لم أعلم أن ابنة خالتي قد أساءت فهمي، وفور انتهائي من الحديث معها، أخذت تجر ابن خالي خلسة معها وذهبت لنخيل جدي الدانية الثمار، وأخذت تقطف كل البسر الموجود في النخلة لتفاجأهم بالمفاجأة الجميلة، وكنت أنا في تلك اللحظة ألعب مع البنات في البيت، ولم أشعر إلا بالخيزرانة على ظهري، وجسدي الصغير يهتز من كثرة الألم المبرح الذي سبّبه عقاب أمي لي، لأن جدي رأى منظر الثمار منثورة في الأرض فسألهن لماذا كل هذا؟ فأجبن أن

نورا أشارت علينا بفعل ذلك. أخبر جدي أمي فثارت ثائرتها وهجمت علي هجوم الأسد الضاري بخيزرانة تكاد تكون أسمن مني ، لا أخفيكم حجم الألم الذي شعرت به، شعرت وكأن الدنيا تدور حولي، وكأن جسدي مفصول عن روحي، وكنت لا أشعر بأطرافي، وأنا أبكي بحرقة شديدة ألم وتوجع، ولم تهدأ نفسي حتى سمعت صوتا خافت بداخلي يناديني ويهمس لي بحنان : «لا تبكي، توقفي حبيبتي»، بعد هذا الكلام نمت بهدوء وسكينة ونسيت كل ذلك الألم، ومنذ ذلك اليوم وأنا أشعر بصوت داخلي يحدثني ويكلمني ويرد علي وينصحني، حتى أنه يناديني أحيانا كثيرة بحبيبتي، لا أزل أذكر يوم الاختبار ذلك ، وهو يقول لي في كل مسألة أحلّها : «أحسنت، أحسنت»،أتدرون أنه في أحايين كثيرة يخبرني بمعلومات أتفاجأ بسردها في التلفاز، أو أقرأها في كتاب، ويكثر هذا الحديث معه في لحظة الخوف والرعب التي تنتابني في نوباتي،إلا أن حديثه مع نفسي زاد، لدرجة أني لا استطيع التحكم به أو دفعه عني، والآن أن أتعاطى العقاقير التي تجعله ينصرف عني ويبتعد، وفي كل عقار أتناوله أقول : «ربي لن أسألك أن تصرفه عني فهو ألطف وأحنّ عليّ من حنان الأم بولدها، ولكن قدّم لي الخير فإن كان وجوده خيرا لي في ديني ودنياي وآخرتي وعاقبة عمري فأبقه كبقاء روحي، وإن كان شرا لي في ديني ودنياي وآخرتي وعاقبة أمري فأصرفه عني بحنانك يا حنّان يا منّان يا ذا الجلال والإكرام».

إجابة فلسفية

يقول أفلاطون في أحد أسئلته الفلسفية الجدلية التي أطلعت عليها وأنا أتصفح كتاب الحب الأفلاطوني : «كيف نبحث عن المجهول؟»، منطلقا من إيمانه التام أن المعلوم الهوية والماهية ليس بحاجة إلى بحث وتقصي لأنه معلوم ومعروف للنفس وإلا لما سمي معلوما، وإنما البحث يكون عن شيء مجهول لدى الإنسان لا يعرف بدايته ولا نهايته، ولا جزء منه ولا كلّه ولا بعضه، أما أنا فلي نظرة مختلفة في هذا الموضوع، فإني أؤمن تمام الإيمان أن المجهول هو الذي يبحث عن الإنسان العاقل وليس العكس، لأني أؤمن أن كل الكائنات الموجودة حول الإنسان تملك طاقة معينة، طاقة من النوع الذي تجعلها كائنا حيّا فعلا، حتى تلك الجمادات فهي تملك طاقة من نوع متعارف عليه، فهي تنبض في جوهرها بأنواع مختلفة من الطاقات سواء أكانت طاقة حركية، طاقة كهربائية، طاقة مغناطيسية، أم طاقة كيميائية، وكل هذه الأنواع من الطاقات وإن اختلفت فهي تجعل كل الموجودات وكأنها كائنات حية وإن كانت لا تعقل تمام العقل، فإنها مسيرة وفق هذه الطاقات للمسير وفق مخطط كبير أبدعه الخالق الواحد الأحد، مبدع الكون كله والمخطط له،

وطالما أن هذه الكائنات تملك هذا النوع من الحياة فهي تتفاعل فيما بينها لتولّد نظاما كاملا متكاملا هو الكون بكافة أطرافه المترامية، وهي «أي الكائنات» في حركة دائمة ترسل إشارات إلى الكائن العاقل «الإنسان» تبوح له بأسرارها، أسرار تكوينها وماهيتها، أسرار لا تستطيع الإعلان عنها بحكم طبيعتها الغير الناطقة، ولكن مع تفاعلها مع غيرها تولدلغة واضحة جدا لثلة قليلة من الناس وذلكم لكونهم مهيؤون دون غيرهم لاستقبال مثل هذا النوع من الإشارات نفسيا وفكريا، وتفكيكها والتوصل إلى حل يفك شفرة هذه الأسرار، فيقوم الإنسان العاقل بمعالجتها وتحليلها مستخدما أدواته التحليلية والإبداعية التي تمكنه من الوصول إلى شيء جديد، شيء لم يتوصل إليه أحد من قبل، نطلق عليه اسم «المجهول».

الجمال

الجمال هو الحالة الفضلى التي ينبغي أن يكون عليها الشيء وليست الحالة القصوى، أعني بهذا الكلام أن الشيء يكون جميلا إذا كان في أفضل حالاته وليست أقصاها قمة، فليس الأفضل دائما هو الأقصى، فالقوة مثلا لن تكون جميلة في المحبوب إلا إذا كانت ممزوجة بالحكمة والاتزان والحزن والحنان في نفس الوقت، وهذه هي الحالة الفضلى التي تظهر بها القوة كمركب جميل في الإنسان مثلا، أما حالتها القصوى فتجعل المحبوب يتحول إلى مصارع شبح يطير الحب منه خوفا فكيف بالمحبوب وهو أرق الناس وأقربهم حبا إلى قلبه، والدليل على أن الجمال يكون في الأفضل لا في الأقصى قمة، أن النفس تميل وتفضّل الأفضل دائما لا الأقصى، وطالما الأن الأفضل هو محل تسليم للعامة من الناس، فهو الجمال بعينه، ذلك الكمال الذي تسمو إليه النفس وترنو إليه وتسكن به.

الجمال دائما يجعل الشيء لديه قابلية عالية للانسجام والتناغم مع الغير المقابل له، فتجد الجسد الجميل دائما منسجم الأعضاء متناغم التركيب وكأن الجسد خلق كله بإتقان من قبل مدبر حكيم علم فأجاد، وكل كتلة في هذا الجسد منسجمة تمام

الانسجام في حركاتها وسكناتها وفي تفاصيلها الدقيقة أيضا مع باقي أعضاء الجسد، فلا وجود للشذوذ أو الاختلال، وكأن القبح في معناه المختصر أن يكون الشيء شاذا.

الجمال دائما يجمع بين الأضداد، وهو الشيء الوحيد في العالم الذي يجعل من الضدين يحملان اسمه، فترى في أحايين كثيرة أن البياض جمال صارخ في جسد بتفاصيل معينة، في حين أنا نجده أكثر ظهورا في البشرة السمراء التي قد تحمل تفاصيل أخرى مخالفة لذلك الجسد الأبيض، وفي كلتي الحالتين يحمل الجسد صفة الجمال،كذلك الأنغام الموسيقية فقد تكون أنغاما هادئة جميلة ورقيقة على السمع وقد تكون أنغاما أيضا صاخبة وتظل جميلة أيضا، بل في أحايين كثيرة أجمل من الأنغام الهادئة.

الجمال صفة لابد لها من جسد تتمثل فيه وإلا فهي صفة لا يمكن إطلاقها أبدا على عدم بدون جسد ولا عرض لا أثر محسوس له أو غير محسوس.هي صفة لا نقيض لها أبدا، لأنها تكون في كل الأشياء الموجودة في العالم ولكن بنسب مختلفة ومتفاوتة ولا أدري ما نصيب نفسي منها في هذا العالم البائس!

في أطوار مرضي المختلفة، كنت أعاني من هوس شديد في موضوع الجمال، لا استطيع أن أظهر بمظهر غير المظهر الأنيق، ولا بد أن أناسق في الألوان مع كل جزء على حده، حتى أني أذكر أني بكيت في أحد الأيام لأني لم أجد تنسيق ملابس السفر لإسبانيا، وتمنيت لو أني لي منسقة ملابس مختصة تقوم بهذا العمل الشاق عني.

هوسي المفاجئ بالجمال والأناقة لم يظهر إلا عندما دخلت الجامعة فقط، شعرت بشيء غريب يجتاح كياني، وكنت أمقت تصوير وجهي لدرجة كبيرة جدا، لإحساسي الدائم بمركب النقص، وكأن كل الناس من حولي أجمل مني، رغم أن تطور المرض زاد من أناقتي، وهذا الشيء الوحيد الذي حير الأطباء، فالمصاب بالاكتئاب غالبا ما يكره الاعتناء بمظهره ونفسه إلا أنا فخلاف ذلك، كنت أهتم بكل صغيرة وكبيرة، وأتحسس من كل تعليق ولو بسيط على مظهري، وكأني والجمال خلقنا لنكون عنوانا لشيء واحد فقط، هو نفسي !

ليس مستحيل أن تكون جميلا، فالجمال ليس بمساحيق أكثر من أن يكون تنسيق وعناية واهتمام، فقط كن كما أنت، ولكن بصورة أكثر لمعانا وإشراقا.

الصورة والإثارة

من قال أن الصورة لا تثير المخيلة وتهيج النفس والأحاسيس المرهفة، فقط عليه أن يتوجه إلى صالات عرض الأفلام في دور السينما، أو ينظر إلى الإعلانات التي تتوسطها النساء الكاسيات العاريات وعندها سيدرك تمام الإدراك حجم الإثارة التي تثيرها الصورة الواحدة في نفوس الزبائن والمشاهدين، بل قد يصل الأمر إلى الإعجاب الشديد بشخصية بطل الفيلم أو الممثل دون حتى النظر إلى محتويات الفيلم، ومن لا يدرك فن الحركة أو بتعبير آخر لغة الجسد-أقرأ كتاب لغة الجسد للكاتبة الأكثر مبيعا بارابارا- لن يدرك تأثير الصورة العميق على النفس، فهي مرحلة راقية من مراحل التأثير بالصور .

ما أثار موضوع الصورة في نفسي هو الجدل العميق الذي ظهر مؤخرا بين المفكرين والمثقفين حول حكم نشر المرأة لصورتها في مواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك وتويتر، وإن كانت حجج المبيحين لنشر المرأة صورتها واهية أوهن من بييت العنكبوت، وأخف من ريش العصفور إلا أن التجربة خير برهان على صحة ما يقوله مخالفوهم، من أن نشر المرأة لصورتها بدون ضرورة ملحة من حاجة علمية فهو أمر محرم، علاوة على أنه خارج عن المألوف.

لدي حساب شخصي على الفيس بوك، وحقيقة لست ممن يضعون صورهم على الحائط، رغم أني لست قبيحة المنظر، ربما الخوف من ردة فعل الأهل يلعب دوره هنا أكثر من قناعتي بحرمة الفعل، ولكي أبرهن على نفسي بالتجربة والدليل القاطع أن الأمر محرم قمت بإدراج صورتي لمدة لا تتجاوز 24 ساعة فقط على صفحتي، وإذا بعدد متابعي يزيد بمقدار ثلث العدد السابق لدي _رغم قلته_، حقيقة أدركت بعدها أن معظم من على قائمتي لم يدرجني لأسباب تتعلق بجمال مواضيعي أو أفكاري، ولربما لم يتكلف أحدهم عناء أو مشقة قراءة موضوعي أصلا، فهو إما جاء لأن صورتي شدته أو لأنه "مخاوي" بنات أو لأسباب خبيثة لم تتوصل لها نفسي بعد، هذا وكفى !

الفراغ والغيبة

في بلدي الطيبة لا يوجد أحد يسمع لك ؛ لسببين لا ثالث لهما : أحدهما أنه لا فائدة من الاستماع لك، والآخر أنه حتى لو سمع لك لا يوجد لديه القدرة لأن يفعل لك شيئا، ربما باختصار الشعور بالعجز التام. الشباب هنا لا يقرأون أو إنهم بالأصح ليسوا بحاجة إلى القراءة، فكل ما يعرفونه هي العادات والتقاليد والنوتات التي يوزعها عليهم الدكاترة في جامعاتهم، فالعادات والتقاليد كافية لحفظ ماء الوجه أمام الناس في المواقف الصعبة والمحرجة، والنوتات كافية لاجتياز الامتحانات النهائية وضمان الحصول على جريد محترم وشهادة تفوق، ومن ثم ضمان الحصول على عمل في جهة ومركز محترم.

إذا ما الحاجة إلى القراءة؟ أما أوقات الفراغ فلحوم الناس أو لحوم البقر، إي إما أن يكون موضوعهم النميمة والغيبة والحش في الناس والخلق والنهش في أعراضهم، أو التجمع على ولائم اللحوم و"العيوش" وغيرها، الناس هنا يغتابون لأنهم لا يملكون شيء يتكلمون عنه، والوقت طويل لديهم، ويكون الواحد لديه الرغبة العارمة في السبق في نشر الأخبار أو البوح بالأسرار، المهم أن يضحك الجميع أو يفاجئهم أو يطربهم أو يسعدهم، بمعنى

آخر أن يكون هو سيد المجلس في تلك اللحظة، لذلك وعلى عمان وأهلها السلام !

دائما أقول لنفسي، أنه إذا وجد شيء يشفع لي يوم القيامة فإنه ليس كثرة صلاتي ولا صيامي، بل تجنبي للغيبة، فأنا لم أغتب في حياتي أحدا أبدا، بل أشفق على من يغتاب الناس، أكره الغيبة جدا، لأنها تذكرني بسخريات الناس مني، كنت في الجامعة كثيرا ما يسخروا مني ومن تصرفاتي، وفور التحاقي بها سألني أحد الطلاب متعجبا مني :»لماذا تصرفاتك غريبة»؟ لم أكن انتبه أن تصرفاتي غريبة، أو أني لم أكن أعتبرها كذلك، كنت في تلك الفترة لدي صديقات كثيرات من بنات سني، لا أزال أذكر ذاك اليوم الذي رشحت فيه نفسي لأن أكون ممثلة الدفعة ولم أوفق، ثم جاءت أحد الطالبات بعد فترة تخبرني بأن البنات كلهن لم يرشحنني لأنهن ببساطة لا يتشرفن بطالبة يضحك عليها الطلاب، شعرت وكأني وحش أرغب في أن أقتص ممن سخر مني ؛ وهذا يؤجج نار الحقد التي في صدري على كل من اغتابني أو تحدث عني بسخرية ؛ رغم أني متيقنة أن صاحب القلب السليم يشعر بالقلوب السليمة، ويدرك سر تصرفاتها، وأن القلوب المريضة وحدها هي التي تفهم الناس بصورة خاطئة وحقيرة .

بسبب الغيبة ابتعدت وعزلت نفسي، بسبب الغيبة اخترت خلوتي، بسبب الغيبة فضلت أن أموت وحيدة على أن أرافق أناس أمعاؤها ملوثة بدماء ولحوم البشر، كم أحتقر المغتابين، لأنهم أناس لا يشعرون، والإسلام دين إحساس أولا وأخيرا، ومن لا يشعر بالآخرين، فهو لا يشعر بكلام رب العالمين لأنه ببساطة

لا يؤثر في قلبه، ومن لا يؤثر في قلبه كلام رب العالمين هو إنسان ميت لا محاله، حكم على نفسه بالموت من اليوم الذي اختار فيه أن يسمم أحشائه بلحم بشري لا يستطيع جهازه الهضمي هضمه، ولا يرحب به جسده، فالأولى له أن يجري عملية تقبيحيه ويتحول إلى شبح أو وحش من وحوش الظلام.

الألم والتيه

أنا لا أتألم لأني تائهة، فالتيه لا يولد ألم، بل يجعلك تنسى كل شيء في الوجود حتى نفسك وألمك، ويولد لديك الحيرة ودافع الاستكشاف عن المجاهيل، وأحايين كثيرة رغبة وحب غامر في المغامرة، أنا أتألم لأن من حولي ليس لديه القدرة على استيعاب متطلبات تيهي، فرغبتي في استكشاف الحياة يدفعني لأجرب كل شيء، والدخول في معمعة وإن كنت لا أعلم نهايتها، ربما بإمكانك أن تطلق عليه «حب المغامرة»، فأنا أجد لذة في خوض المغامرات وخصوصا الفكرية والعاطفية ويشعرني خوضها بالنشوة والسعادة حتى وإن كانت نهايتها الفشل _وهذا ما يحدث في الأغلب الأعم_لا يهمني أن يثق بي أحد، فلست شخصا مضمونا نجاحه ولست شخصا يوثق فيه أصلا، ولأني أسعد بالفشل كسعادتي بالنجاح، فالتيه لا يسبب لي ألما أبدا.ما يسبب لي الألم، العوائق التي يضعونها _الناس وبالأخص أهلي_ ورغبتهم الملحة في أن أكون النسخة المطابقة لعقولهم وأفكارهم، وخاصة والدي.

الألم مسألة معقدة وكبيرة جدا، خاصة عندما يكون الألم ألما نفسيا داخليا لا يمكن الوصول إليه إلا بالتوغل في أعماق

النفس، فلا يوجد أقوى من الألم النفسي ؛ لأن باقي الآلام تذهب بذهاب السبب أو بالمسكنات والعقاقير الطبية المخصصة لها، أما الألم النفسي فإنه يصعب ذهابه هكذا،وعادة ما تنعكس آثاره في سلوكيات المرء وتصرفاته فتصبح عادة له يصعب التخلي عنها، الألم النفسي وإن زال سببه تظل آثاره غائرة في النفس لا تفارقها. الجدلية الحاصلة في مسألة الألم هي من حيث علاقته بالعبقرية، فكثيرا ما نسمع الأدباء والمفكرين يرددون مقولة أن «الألم يولد العبقرية»، فهل فعلا الألم يولد العبقرية أم أن العبقرية تولد الألم؟.

الإنسان العبقري إنسان حساس ومدرك جيد للواقع، وكلما زادت حساسية الإنسان للأشياء زادت عبقريته؛ لأن الإحساس يولد التفاعل، والتفاعل يولد الإدراك، والإدراك هو لب وجوهر العبقرية، فكلما زادت العبقرية زاد ألم الإنسان وحزنه، وذلك لشدة تفاعله مع الموجودات، والحزن هو المسبب الرئيسي للألم؛ لذلك أؤمن دائما أن العبقرية هي مصدر من مصادر الألم ومسبب رئيسي له، ولكن هذا لا ينفي أن الألم قد يسبب العبقرية، فهذا باب كبير لابد حين ولوجه أن يكون المفكر متسلحا بالشواهد والأدلة على ذلك، بل بالبراهين والحجج العلمية أحيانا، فهو يتطرق إلى نقطة مهمة وسؤال حساس جدا وهو «هل العبقرية صفة مكتسبة حتى تكتسب بالألم؟»، مثل هكذا سؤال كفيل بأن يثير جدلا ويطيح بنظريات ومقولات، وإن كانت مشهورة وأولها وليس آخرها المقولة سابقة الذكر «الألم يولّد العبقرية».

عذرا إسلامي

طاعة الزوج واجبة، طاعة حاكم البلاد واجبة، طاعة الوالدين واجبة، كل حياتي تتحول تدريجيا إلى طاعات شئت أم أبيت، المشكلة هي حتى وإن كنت أعرف تفصيلا ما هو استثناء هذه الطاعات، إلا أن من حولي لا يعرفون سوى عموم القاعدة، والمشكلة الأكبر في ذلك أنه لا توجد أي وسيلة أو مدخل لإقناعهم للعدول عن آرائهم، لأنه لا يوجد مبدأ الحوار والمناقشة أصلا، وكأنهم رؤوس عبئت سلفا حتى وصلت إلى الحد الذي لا ينبغي لك غير أن تطيع، وكأنهم يريدون منك أن تنسى نفسك وقناعاتها ومبادئها التي تعلمتها طيلة حياتك، وتنسى حتى أنه عليك أن تفكر من أجل مستقبلك إن لم يكن من أجلك، وأن ترضخ لطاعات الآخرين الواجبة والموجودة نصا في القرآن والسنة، معها تتهاى شخصيتك تدريجيا حتى لون البنطالون الذي ترتديه سيدخل يوما من الأيام في بنود الطاعات التي ينبغي عليك إتباعها. السؤال الذي دائما أسأله نفسي، ألا أملك الحق في أن أشكل آرائي بمفردي بمعزل عن تأثيرات الآخرين من خلال طاعاتهم العمياء؟ ألا أملك حق الحرية في طاعة آخرين يتحكمون بموجب هذه الطاعات في مسار حياتي ؟

لا أحد يعلم ما هو الأصلح لنفسي أكثر مني؛ فلماذا يحتج الكبار دائما بأنهم هم الأقدم سنا والأكثر خبرة والأكمل معرفة، وكأنهم أنا حتى يعرفوا ما يصلح وما لا يصلح لي، ألا أملك حق اختيار ذلك بمفردي بكامل قواي وطاقاتي؟

الأحبة من حولي موجودون لا لأطيعهم قسرا بقدر ما هم موجودون لمساندتي إذا أخطأت، لا أبالي إن لم يكونوا موجودين وقت حاجاتي، فكلما كبرت كلما أصبح لدي مناعة ذاتية ورغبة تامة في العزلة. أرغب في أن أكتب دستورا كاملا وأسمه بعنوان استثناءات الطاعات الواجبة ؛ حتى يعرفها الجميع ولا يقيدون بها غيرهم، إن لم تكن لهم الشجاعة نفسها والرغبة عينها في اختيار مسير حياتهم بمفردهم، أنا خلاف ذلك فلدي الرغبة العارمة لأن أعيش بحرية، هذا فقط ما أتمناه الآن، ولا أدري كيف سأصل له في خضم معركة الطاعات هذه، وسنة جديدة يا جميل !

كتبته في يوم 2015\12\23

اللـــه

أغلب حياتي عبارة عن الجمع بين تناقضات، أخاف أحايين كثيرة أن تكون هذه الكلمة ستار لكلمة أقبح منها وهي النفاق، أعوذ بالله منه، فهو مسمى قبيح ونتن لذلك أخافه كثيرا، أكثر من خوفي من الضياع الذي أشعر به بداية كل كتابة من كتاباتي، دائما عندما يسرح فكري في تفكيك هذه الكلمة «النفاق»، ومقارنتها بحالي، يتجلى لي الله في كل شيء أمامي وداخلي، خلفي وتحتي، أمامي وفوقي، في حركاتي وسكناتي، يقظتي ونومي، في سعادتي وحزني، يكاد لا يغيب عن بالي ثانية واحدة، أشعر أنه لو غاب عن بالي لحظة من الزمن، لضعت في متاهات الحياة، أرى الله في كل شيء، في كل موجود، في كل حدث، في كل مخلوق، في كل فعل يصدر من مخلوق أيا كان بشرا أم حيوانا، بهيمة لا تملك العقل أم عاقلا بالغا يملك كل مقومات التكليف. يا إلهي، ما هذا التناقض الغريب، أيعقل أن يوجد إنسان مثلي، حياته مليئة بالتناقضات، يرى الله في كل شيء، في كل ذرة من هذه التناقضات، أشعر أحيانا كثيرة أني متناقضة أيضا في تناقضاتي.

دائما أسأل نفسي ومن حولي: «هل المفروض مني كمسلم أن أحب الله لكي أعبده حق عبادته وعلى أكمل وجه، أم الأولى أن أخافه؟».لا أدري كيف أحل هذه المسألة، ولكي أكون صريحة مع من يسمعني فإن هلوساتي هذه التي كتبتها في كتابي يغلب عليها طابع الخوف والرعب من الله، وبعيدة كل البعد عن محاولة الاستقرار وفهم معنى الحب الإلهي، هي أقرب إلى الخوف منه من حبه، لا أدري أيهمايقربني من النجاة أكثر، أخوف الله أم حبه، ولكني أعلم شيئا واحدا فقط، هو أني أخافه لأن الكل يحبه.

لا أزال أذكر تلك الأيام والليالي التي بتّ فيها ساهرة لا أنام أبدا بسبب خوفي الشديد من الله، وكأني على مقربة منه، وكأن الله أمامي ليس بيننا غير حاجز النور ذاك، حالات الخوف هذه أو بالأصح نوباته تأتيني فجأة في فترات متباعدة، وأخسر الكثير من وزني ولا أقوى على الصلاة أو السجود أو حتى الحديث، فقط أنتظر حتى تزول عني، ويزول الخوف والرعب وتعود الطمأنينة لنفسي، أذكر أني كنت أرى اهتزاز ملابسي من الخوف بسبب دقات قلبي القوية والواضحة والظاهرة، وكنت أحيانا استمتع بهذا وأنا أعد النبضات طالعة ونازلة، ثم عندما تزول عني هذه النوبة تعود الطمأنينة لنفسي، وتسكن روحي، وتهدأ أوصالي وكأن شيئا لم يكن.

السر المحرم

هل عرفتم ما أقصده؟ نعم إنه هو الجنس، في عمان الحديث علانية عن الجنس أمر ممقوت ومحرم، ويكاد يوسم من يتجرأ بالحديث عنه بصفة : «الأخلاق الدنيئة».

بالرغم من ذلك كله ثلة كبيرة من الشباب لا يجدون في حديثهم السري بينهم وبين طرائدهم غير هذا الموضوع ؛ لذلك هو سر وفي نفس الوقت محرم فعله وبرغم من ذلك فهم يفعلوه.ولكي أتناول سبب ازدياد الحديث عن هذا الموضوع بين الشباب سرا، لابد أن نركز على أمرين: أحدهما يتعلق بالشباب المتحدث، والآخر يتعلق بالشيء المتحدث عنه، فواقع الشباب في بلدي الحبيب هو الفراغ والعراقيل، فالفراغ محرك سريع الحركة وعالي الطاقة، يجعل الشباب في حالة يكون مهيّئا لفعل أي شيء سواء أكان خطأ أم صوابا، ولكون أن معظم الشباب في حالة انشغالهم مشغولين بتحصيل العلوم والاستماع لها، أو بأداء واجبات ومهام، وبذل مجهود هائل، هذا يجعلهم يشعرون أنهم في حالة كبت حرية، وحالة اختناق من نوع لا يفرغ عنه إلا الاهتمام بالنفس قليلا، وإطلاق العنان لها، ولن يكون هذا إلا بطريقتين أحدهما صحيحة وهي الفكر والإبداع، والأخرى المحرمة وهي الجنس،

أي أن إنما تفكر إما في الجزء العلوي من جسدك أو الجزء السفلي منه، وكلا الطريقين واضح المعالم وظاهر النتيجة. السبب الثاني الذي ذكرته سابقا ويحفز الوقوع في مثل هذا الحرام، هي العراقيل التي توضع وتحدّ من الفكر وإبداء الرأي وسرعة نقل المعلومات ؛ فتجعل الشخص في حالة من الاختناق والكبت لا ينفّس عنه سوى هذا الطريق الناعم والهادئ واللذيذ في نفس الوقت، هو الجنس، يفهمهم وحده !

كل هذا الفكر والرأي الذي أبديه، نابع من إعمال جزء مهم من دماغي، والكل يعرف واقع الحال في عمان، لذلك لن أزعم المثالية، ولكن سأقول، اللبيب بالإشارة يفهم !

خالف تعرف

كثيرا ما يشتكي الجيل القادم بأن أغلب مواضيع أحاديث الثقافة هي عن الدين وحده وأهله فقط، ولا شيء غير ذلك، فمن أراد المجد والسؤدد وكذلك السلطة اللغوية الإلكترونية في عمان ما عليه إلا أن يحرك لسانه ويهز خصره لسيمفونيات الدين الجدلية، وطالما أن مواضيع الدين أصبحت قديمة ومعروفة للجميع حتى الرضيع يكاد يفقه فيها،لابد للجيل المثقف من إدخال عامل الجذب والشدّ، ولغة لفت الانتباه في أحاديثهم الدينية، ولا يوجد هذا المخرج إلا في أن تعارض الدين بأشهر الوسائل التاريخية وأكثرها رواجا وهو السلاح الفتاك الذي يضمن لك الشهرة في وقت قصير جدا، وبرهة يسيرة من الزمن؟؟ أتوقع أن كلامي الأنف الذكر جعل الموضوع واضحا إلى الآن، إنه سلاح العلم والبحوث والدراسات العلمية، وإذا أردت شهرة تفوق هذا كله ما عليك إلا أن تمثل دور الملحد الدارويني وجده القرد الأكبر!

الإلحاد أمر خطير، يكاد يستشري في المجتمع العماني وبخفية، فلا هو يظهر علنا لضعفه وقلة حيلة أصحابه، وشدة الرقابة الأهلية والأسرية والمجتمعية، ولا هو يغوص في قعر العلم فيختنق

ويختفي، لا يزال يورق الجميع، لأن غرضه الأساسي ليس الثبات على مبدأ معين أكثر ما هو رغبة من البعض في اتخاذ الدين هزؤا ولعبا وتمضية وقت يكون فيه الشخص هو السيد الأكبر ومحط انتباه لدى البعض من مرتادي مواقع التواصل الاجتماعي، وأصحاب السبق في الإتيان بالجديد الذي يبهر ضعاف العقول والنفوس معا، وفي النهاية الأثر واضح على الجيل الجديد قليل التنشئة الدينية وشحيح الثقافة العامة المستعد الراغب في أخذ أي جديد ولو بدون تمحيص، وليت الظالمين يعلمون أي منقلب سينقلبون في الدنيا والآخرة، ومن يبتغي غير الله ربا فهو من الخاسرين لا محاله وكفى !

أسراري الصغيرة

لدي أسرار كثيرة وغزيرة كغزارة حبات المطر في شهر ديسمبر، ولكنها رغم ذلك صغيرة، ولا أحد يعلمها هنا من حولي،لكن لو كان لأحدهم الرغبة في معرفتها جيدا سيجدها ظاهرة واضحة لكل مستكشف متسلح بأسلحة التحليل والاستنباط ، وأحد أكثر هذه الأسرار وضوحا في جسدي أني إنسانة أحب المخاطر وإن كان عقابها يكلفني ثمنا باهظا وغال،لكني رغم ذلك سأغامر ولو من أجل متعة يوم واحد فقط، فالحياة عندي إما مغامرة أو لا شيء أبدا، وهذا السر الصغير يوقعني في المشاكل الكثيرة ما ظهر منها وما بطن، أي إما مشاكل أسرية أو مشاكل نفسية خاصة، وبسبب هذه المشاكل أظهر أمام الجميع بصورة الإنسان الغبي الأحمق المجنون الغير مسؤول عن تصرفاته، ففقدان ثقة الجميع لك وحرمانهم لك من المسؤولية أمر موجع ظاهريا ويسبب آلاما نفسية كثيرة وأتعابا داخلية، ولكن لما كل هذا؟ وما المغامرة إلا مشوار اخترته بنفسي ورضيت عنه، فأنا أسلكه ولو من أجل متعة يوم واحد فقط، فهل هذا يستحق كل هذا العناء؟ ربما؟ أقول ربما؟

السر الآخر الصغير المستلقي بجانب كومة أسراري، هو أنني إنسانة تحب كثيرا التعامل مع الغرباء، فالمعروف الهوية لا يجذبني ولا يشدني، ولا أشعر برغبة أصلا في محاورته والتعرف على أخباره وحياته، فلقد سئمت نفسي منه، ولا يحب التكرار إلا الحمار، ما يشدني ويجذبني هو المعلومات المتعلقة بالغرباء،لأنها تثير مخيلتي، وتقوي حدسي وفراستي، وتجعلني أبتكر أدوات جديدة في التحليل والاستنتاج تتطور يوميا وبشكل تلقائي معي، فيجعلني أسرح كثيرا خالقة عالمي الخالص من الأوهام والخيالات اللذيذة من وضع مخيلتي، حتما هي لذيذة جربوها!

التكرار هزيمة والتفرد متعة وانتصار، أحيانا نحتاج أن نتغافل النتائج، بل أن يكون لدينا استعداد نفسي مسبق لتلقيها مهما كانت فداحتها، لا أدري إن كان سري هذا الصغير يحتاج منك أن تعيد مشوار حياتك؟ المتيقنة منه أنه ليس كلام ورق فقط بل أمر يحتاج منك ولو ثواني، وفي النهاية أشكرك!

لماذا؟

لماذا نكره أخطائنا؟ هذا سؤال جميل حقا يذكرني بسؤال بروفيسور كان يدرسني مادة التفاعلات الكيميائية في مرحلة دراستي للبكالوريوس في جامعة السلطان قابوس، فكان دائما يختم كل امتحان نؤديه بمقولته الشهيرة : «لماذا أنتم حزينون؟ الصفر رقم جيد»، أي لماذا أنتم خائفون من الحصول على الصفر في الامتحان، فالصفر رقم جيد في الهندسة، فمثلا من الجيد أن تحصل على معدل احتكاك صفر في الأنبوب، أو من الأفضل أن يكون مقدار فقدان النظام للحرارة صفر على أن يكون هناك فقدان بمقدار معين، لذلك قد يكون الصفر جيد أحيانا.حتما كلامه صحيح وبه شيء من الحقيقة، فالألف لولا الثلاثة أصفار لما كان ألفا، كذلك المليون والترليون أيضا.

دعونا ننظر قليلا للموضوع بنظرة فلسفية، الأخطاء نظير ماذا ؟ الخطأ نظير الصواب، أي أن الخطأ ليس نظير الفشل، فلماذا نحزن إذا أخطأنا عندما ندرك أننا لسنا فاشلين؟ المعظم يظن _ وهذا خطأ وفقا لبرهاني السابق _ أنه كلما زادت أخطاؤك فهذا مؤشر قوي على أنك إنسان فاشل، هذا خطأ ولا يقارب الصواب، فالأخطاء تكثر كلما زاد العمل وزادت الرغبة في إجراء

تجارب مختلفة ومتنوعة ليست كسابقاتها، أما سمعت بالعالم الذي أخطأ 99999 مرة فقط ليتوصل إلى اختراع فريد من نوعه، وعندما سئل عن فشله بهذا العدد الضخم، قال أنا لم أفشل، ولكن أخطأت 99999 فتعلمت 99999 طريقة لا توصل إلى الإجابة الصحيحة.

إذا الأخطاء مؤشر من مؤشرات الإبداع، الذي هو اللب الأساسي والركيزة المهمة من ركائز النجاح، فالفشل يصنع الخبرة، فقط لو أحسنت التعلم منه جيدا! كنت قبل مرضي حريصة على أن لا أخطئ، بل كنت أعد أخطائي بأصابعي، وأتألم عندما أفعل معصية أو أقترف منكرا، ولا أرتاح حتى أكفر عنها بفعل صواب، وكأنما خلقت لي نفس لوامة، أحيانا لومي لنفسي يقترب من جلدها، أشفق عليها كثيرا منها، ليس لأن الخطأ فشل بل لأن الخطأ يهز صورة الكمال الذي أنشده، الكمال في كل شيء .بعد اشتداد مرضي ازدادت أخطائي بسبب الأوهام والخيالات التي تراودني قسرا وكأني تحت تأثير قوة جاذبه تسحبني لأفعل ما تريد هي، إلا أن الشيء الوحيد الذي أفادني في حالة ازدياد مرضي - رغم كثرة الأوهام- أن تأنيبي لنفسي وجلدي لها قل كثيرا، وكأني نضجت وأدركت أن الكمال لا يبلغ وإلا لما كان كمالا.

هل الخبث عبقرية؟

كثيرا ما نسمع عبارة كل الطرق تؤدي إلى روما، أو عبارة «الغاية تبرر الوسيلة»، صحيح أنا أؤمن أن كل الطرق تؤدي إلى روما، أي أنه هناك أكثر من طريقة للقيام بعمل واحد،لكن لا أؤمن أن الغاية تبرر الوسيلة، فقد تكون أحد الطرق المؤدية إلى روما هي عبارة عن السير فوق رؤوس الخلائق، وهذه حقيقة لا يوجد هناك ما يبررها غير سوء الخلق وانعدام المبادئ والأخلاق للوصول للغاية أو الوسيلة،هكذا يكون الخبث إذا قورن بالعبقرية،الخبث هو أحد الطرق المؤدية إلى الإجابة الصحيحة، أو الموصلة للغاية المنشودة، ولكن العبقرية هي الطريقة الفعالة الموصلة إلى نفس نتيجة الخبث النهائية، لكن الفرق بينهما أن الخبث وسيلة خاطئة موصلة لنتيجة صحيحة، أما العبقرية فهي وسيلة صحيحة موصلة إلى نتيجة من نفس النوع. إذا شتان بين الخبث والعبقرية، فليس كلاهما صورة للآخر، فكلاهما له طريق خاص موصل لنفس الغاية المنشودة من كلي الطرفين. فهما بذلك خطان متوازيان لا يتقاطعان أبدا.

الخبث مهمة سهلة بإمكان أي شخص على وجه الأرض القيام به بمجرد أن يتجرد من كل المثل والقيم العليا، مثل الأخلاق

الحميدة والوفاء بالوعد أو الصدق ويروض نفسه على السبل والطرق الدنيئة أما العبقرية فعلى خلاف ذلك، فلا يقوم بها إلا الإنسان الحاذق بالفطرة المتمكن منها بالممارسة الذي اكسبته الخبرة قدرا عاليا جدا من الفطنة والنباهة وحسن الفراسة.

إذا وقعت في خطأ يوما ما بسبب شرك نصبه لك خبيث، فطمئن قلبك، فهو لم ينتصر عليك، لأنه لم يقو على مواجهة عبقريتك وذكائك، بل هرب من أول مواجهة له مع أخلاقك. أخطاؤك مع الخبثاء هي انتصارات وأوسمة شرف على نزاهتك وطيب أخلاقك وحسن منبتك،لأن الخبث لا يلتقي أبدا مع العبقرية في مواجهة ما، فقط كن حذر أحيانا.

دائما أردد داخل نفسي :»أجيد التعامل مع الأذكياء، لكن لا أجيد التعامل مع الخبثاء» ؛ لأن إدراك سر تصرف الثاني لا يتوصل إليه إلا إذا وضعت نفسك مكانه، أو كانت مداخل عقلك مثل مداخل عقله، ولله الحمد مداخل عقلي نظيفة ولا أرغب في توسيخها بقاذورات هؤلاء الخبثاء، أما بالنسبة لمحاولتي لوضع نفسي مكانه حتى أعلم طريقة تفكيره، فلي نفس أبية لا ترضى إلا بالكمال ولا تنظر إلا لضوء القمر، لذلك إذا أرادت أن تسأل عن الخبثاء فأسأل الحمار الذي ينظر دائما إلى الأسفل، أما العباقرة فلا يعرفهم ويميزهم إلا الثريا.

القناعة والطموح

««القناعة كنز لا يفنى» هذه عبارة شهيرة وقديمة جدا كقدم طموح الإنسان، نسمعها دائما تتردد في أذهاننا خاصتنا من المثقفين وعامتنا من باقي الناس، المشكلة ليست في الجملة، فهي نص أدبي راق جدا، بل المشكلة في استخدامات هذه الكلمة والمواقف التي تنطبق عليها والتي لا توافقها، أؤمن دائما أن القناعة تكون في الشيء الذي ليس لك فيه خيار ولا حول ولا قوة، أم الطموح فيكون في الشيء الذي لك به حول وطاقة، ولديك القدرة الكاملة على فعله أو تركه ؛ ولتتضح الصورة أكثر دعوني أضرب لكم أمثلة على ذلك، فلون البشرة وطبيعة الشعر وطولك وحجم جسدك هذه أمور لا حول لك فيها ولا قوة، فالأولى أن تقنع بها، أم الأشياء الأخرى التي لك بها حول وقوة، وعندك مطلق الاختيار في فعلها من عدمه، مثل كسب المال، أو الحصول على الشهرة، أو شهادة علمية أو أدبية ما، فهي أمور تتطلب منك طموحا ورغبة شديدة في الفعل وعزيمة وقادة لبلوغها، فلا تتركها حتى تصل إليها، وتقضي وطرك منها، فالفقر علاجه الغنى والطريق الموصلة لذلك بسيط، ما عليك إلا أن تشحذ عزيمتك وتقوي صبرك وتستعين بالطموح أولا

وأخيرا لوصول ذلك، فصدق الشاعر حين قال معبرا عن طموحه الراقي والعالي في آن واحد:

نحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

فكن في الصدارة بطموحك، ولا تكن في المؤخرة بقناعتك، فمن يروم العسل لابد من لسعة النحل، فكذلك الطموح أمره جلل، وقيمته ثمينة، فلا يتركه إلا جبان عاجز، ولا يبتغيه إلا كل ذي لب، فكن منهم وتوكل على الله.أما أنا فطموحي لا يتوقف، فهو أكبر مني بكثير، وسقف تطلعاتي أعلى من ما توقعته يوما، ربما سأحدثكم قريبا عن «العظمة» و «المجد» فلي معها قصة طويلة، أشعل فتيل ذكرها الطموح لا أكثر.

الرياضة

أجمل الرياضات على الإطلاق هما ركوب الخيل والسباحة، لا عجب فكلاهما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ولحسن حظي أن الله أطال في عمري فجربتهما الاثنين معا، فلا شعور يضاهي وجودك على ظهر جواد يعدو بسرعة تتجاوز 80 كيلو في الساعة، أحيانا كثيرة أشعر بالزهو والثقة بالنفس، ولا أجمل من هذين الشعورين بجانب شعور العظمة والفخر، ربما تعالج نفسيتي كثيرا، وكأني أشعر بأني أتحرر من شرنقة عذاباتي وآلامي، فأغدو كفراشة تحلق على ظهر خيل، وهذا الشعور بأن الخيل علاج لنفسيتي لا يتملكني إلا عندما أشعر بالدونية والتيه في هذا العالم ولا أجد ملاذا غير ظهر الخيل، بجانب ركوب الخيل فالسباحة تضيف لي نوعا من الاستقرار والهدوء النفسي وسكينة الروح، وخاصة عندما تلامس أوصالي قطرات الماء الباردة، فيهتز لها كياني وتنفض كل أوجاعي ليحملها الماء إلى أقرب مجاري المياه، لتصل إلى مكانها.

رغم أهمية هاتين الرياضتين لي ولنفسيتي فإني أتساءل دائما عن أهميتها لباقي الألوف المؤلفة من طلاب المدارس والجامعات الآخرين، إلا أنها لا تتوفر إلا لأثرياء عمان فقط، رغم كونهما من

الأهمية بمكان بحيث أنهما في الصدارة مقارنة بسائر الألعاب التي تزخر بها مدارسنا مثل كرة السلة وكرة الطائرة وكرة القدم أيضا والتي تضج بها مدارسنا، وللأسف الشديد لم أقرأ أي دراسة علمية عمانية أقيمت حديثا تحدد ماهي الرياضات التي يحتاجها أبناؤنا في المدارس وأيها أفضل، كل ما أعرفه أن حكومتنا الرشيدة تجري دائما وراء كل رخيص ولا يحتاج إلى جهد مضني، فإلى متى يستمر أبناؤنا متخبطين هكذا بين ما هو أفضل بدليل الشرع والدين وما هو أرخص وأسهل في نظر الحكومة.

يشدني أحيانا ما هو موجود في الدول الغربية العظمى من شروط الالتحاق بالكليات والجامعات الكبرى والعريقة لديهم هي أن يكون الطالب منهم قد احترف رياضة من الرياضات أو أن له حصة أسبوعية من الساعات يقضيها في ممارسة رياضة ما، حتى أن معظم كبار كتابهم ومفكريهم وعلمائهم يجيدون بل يحترفون رياضة من الرياضات، لا عجب فالرياضة إن لم يكن لها تأثير ملموس في الصحة فهي نقاء وطهارة للجسد، وهي تحفز العقل وتزيد من انتاجيته، فمتى يا ترى سنرى حكومتنا الرشيدة والعربية ككل تهتم بالرياضة على مستويات عليا من الإعداد والتنظيم لكل المستويات الدراسية ابتداء من الابتدائية إلى المرحلة الجامعية ؛ حتى لا يخرج طالب من الطلاب إلا وقد احترف رياضة ما أو أجاد مهارة وتمرس فيها، ويستمر الحلم إلى أجل.

السمعة

الناس هنا من حولي كل أفعالهم وأقوالهم، تصرفاتهم وسلوكياتهم تدور حول محور رئيسي هو السمعة، فإما أن تهشمك وتكسر عظامك وإما أن ترفعك مكانا تحلق فيه مع العلالي. كل ما عليك فعله هو أن توافقهم وتنقاد لهم ولا تختلف معهم أبدا ،ولا تحاول أبدا أن تأتي بفكر غريب أو إبداع أريب؛ لأنه لا يجدي مع هؤلاء الثلة سوى ما غرسه أباؤهم وأجدادهم ولا يزالون يفتخرون به إلى الآن، فعلى آثارهم يهتدون، وبهداؤهم يقتدون، والأدهى من ذلك والأمر أنه الشيء الوحيد الذي هو حديث المجالس في كل زمان ومكان. دائما أسأل نفسي إذا كان القرآن ذكر نصا في مجمل آياته : «وما أكثرهم ولو حرصت بمؤمنين»، فلماذا نحن نكترث بما يقوله عنا أكثرهم؟؟ أليس من الأولى أن ندعه خلفنا ونمضي في حال سبيلنا لا قتلى ولا مقتولين، كالطيور الحرة التي لا يقيدها شيء غير الرياح العاتية التي إن لم تكسر جناحها فأنها تدفعها للتحليق عاليا من جديد.

أفعالك وأقوالك كلها نتائج نفسك التي مرت بها ظروف وحالات لا يعلمها إلا الله، فكثيرون لم يجربوا الاكتئاب ولا يعرفون ما هو، ولا يعرفون كيف يكون شعور المرء عندما

تحاصره مثل هذه المشاعر وتستولي عليه وتستحوذ على عقله، المصدر الأساسي لتصرفاته وسلوكياته، فمن تراه يصرخ قد يكون صراخه آهات يتألمها قلبه وجسده وعقله لكنه لا يقوى على البوح بها، ومن يضحك هكذا ضحكا هستيريا لا تقل عنه مجنون فربما ضحكه الهستيري أمامك هو نتاج لمخزون سنة كاملة من البؤس والشقاء، ولم يدرك كيف تفلت زمام صبره وضحك استهتارا وسخرية بالواقع. طالما أنك لا تدري عن ظروف من تقابله شيئا ولا تدري عن ما يحدث من تفاعلات وارتفاعات وانخفاضات في هرموناته وامزجته فلما الاسراع في الحكم عليه؟ ولما أنت متشوق أيضا لمعرفة رأي الناس بك؟ قد تحكمهم نفس أو ظروف مغايرة لا تعلمها أنت ولا يعلمها غيرك، تعلم دائما أن لا يهمك غير نفسك وخذ آراء الناس فقط لتستفيد لا لتقيم بها إنجازاتك.

السر

هي أصعب مسألة لسانية في العالم، لا يجيدها إلا الندرة ويخوضها كل البشر بمختلف طباعهم ومواقفهم وأجناسهم، هي المسألة الوحيدة التي تحدد قوة إرادة الإنسان في حبس أقوى العضلات في بدنه من التحكم بمصيره ونهايته حتى ليكون أمرها جلل بالنسبة للشخص ذاته وقد تصل إلى التأثير على علاقته بالبشر من حوله، والأثر الخطير والأعظم عندما تصل إلى التأثير بعلاقته بالله تعالى خالقه وبارئه وبأحكامه وشرعه .يتلذذ الكثيرون باللعب على أوتار السر لأنهم يجيدون التفرد الذي يمنحهم إياه في جعلهم المصدر الوحيد والمحصور لهذه المعلومة . وغالبا ما يعقب اللذة المؤقتة هذه، ندم عظيم ومصائب أعظم إذا فاح هذا السر ووصل إلى حيث لا ينبغي له أن يصل .ما لا يعرفه الكثيرون عني أني بئر عميق لأسرار كل العالم التي لا أبالي بها ولا أعتبرها مصدر لذة لي ولا تستحق أن أكترث لها أصلا، وخاصة عندما تتعلق بحياة هذه الكائنات البشرية العاقلة _أي الإنسان_، ما أكترث له حقا تلك الأسرار التي لا يبالي أحد بها،المدفونة في عمق الكائنات التي لا تملك لغة تحدثني بها، والتي أشعر بسعادة غامرة حين أجهد نفسي من أجل الوصول

إلى سر كوني من أسرارها، ذلك السر الذي يجعلني بجانب أني متفردة وغريبة عن العالم، بقدر ما يجعلني أغرق في وحدتي التي تؤرجح نفسي بين وضعي الحزن الكئيب القاتل والسعادة المفرطة، ولكن لن يتمكن مني الحزن وأنا أملك أحد أسرار هذا الكون وأحاول كل جهدي أن استثمره في جعل كل من حولي أسعد، لذلك أنا أكتب لك هذا الكتاب.

مبدئي الدائم في الحياة أن أجعل نفسي سرا لجميع العالم، ولا أجعل أسراري بين يدي العالم، قاعدة جميلة أتلذذ بترديدها ولكن لا أجيد إتمام تنفيذها، ربما لأن أسراري التي أملكها هي ملك للعامة منذ أول وهلة خطر في ذهني أن أصبح كاتبة وأبادر في خط كل أفكاري ؛ لأصبح عارية تماما من كل حائل وكأن أمامكم جمجمتي تحدثكم نيابة عني، ليس المهم أني خرقت مبدئي، لست حزينة لذلك، فمبادئ كثيرة، المهم أني سأضحي بأسراري قربانا لفائدتكم فكونوا منصتين وكفى!

الاكتئاب ورسالة مشفرة

أن تعاني من الاكتئاب أمرا ليس بالغريب، ولكن الأغرب حين تعلم أن الدراسات العلمية اكتشفت في بحوثها أن «الذكاء والاكتئاب مسؤول عنهما نفس المجموعة من الجينات» . مفاجأة من العيار الثقيل صحيح؟ لا تتفاجأ فالمصدر هو كتاب اختبارات الذكاء للدكتور عبدالمنعم الميلادي ذكر فيه كلام جميل عن العلاقة الوثيقة بين الاثنين، إنه لمن المبهر أن نعرف هذا.

المكتئبون أذكياء؛ لأنهم يدركون أن هذه الدنيا بمساوئها وفظائعها لا تستحق غير أن نصارع فيها من أجل أن نبقى غير «مكتئبين». أمر مضحك حقا أن نستنتج من كلامي أن الاكتئاب ما هو إلا صراع نفسي من أجل أن تبقى غير مكتئب، المكتئبون هم أكثر الناس حساسية وأكثرهم شعورا بالحزن والكمد لمصائب غيرهم، وهم أكثر أنواع البشر إدراكا أن السعادة والحب هما الأمران الوحيدان اللذان يجعلان الناس كلهم سعداء هنا، ولأنهم يدركون أن هذا يستحيل تحقيقه هنا في أرض الواقع وأمام كل هذه الصراعات والنزاعات والحروب السياسية من أجل البقاء، لذلك نجدهم أكثر الناس على وجه

البسيطة اكتئابا وحزنا، لربما على هذا الواقع الذي يعيشونه، فلا تلوموا مكتئب على اكتئابه ولوموا أنفسكم إن كنتم قوما تعقلون !

,مررت، بحالة اكتئاب شديدة جعلتني أصارع ،أكثر من ثلاث، نوبات قوية من الانخفاض والارتفاع في المزاج تبعا للظروف التي كانت مصاحبة لها , وفي كل مرة أخرج إنسانا أكثر عاطفية وحساسية وكأني داخلة ،مغامرات عاطفية، وينتهي بي الحال دائما في بحر من البكاء ورقة المشاعر وفهم عميق للحياة ،كلها، ولدت لي شعور عملاق بأني كائن واع ومدرك لقيمة الحياة و,بسبب، هذا ارتفع لدي مؤشر الطموح , الطموح الكبير لأن أحقق شيئا ولو بسيطا من الهدوء للعالم وسط هذا الزخم الهائل من الصراعات والمعارك التي يقف ،الاكتئاب، عاجزا عن فكر شفرتها , والدليل ما يولده لدى المكتئبون من بؤس وشقاء.

بوح قلب وليلة حزينة

الحزن يعصر قلبي يوجعني، حتى صلاتي لا أقوى على إتمام سننها ونوافلها، وتري وتر العاجز، ركعة واحدة حزينة كئيبة كوحدتي في ظلمتي، موجع ذلك الشعور بالوحدة والألم، آه الوحدة تعذبني، بحت لطبيبي النفسي تلك الليلة بأن الاكتئاب يتحين موعد نومي فيباغتني، وأظل ساهرة إلى منتصف الليل وكأن الوحدة رداء يعصرني بين طياته، أتخيل بجانب سريري الصغير سرير آخر يحتوي على جسد، جسد يكترث لي، يتحسس نبضي، يدرك أني لا أزال على قيد الحياة، آه، حدثني يا طبيبي، حدثني عن وجعي كيف أجعله يرتاح ليريحني ؟ آه، يا طبيبي، هاتفي الآن بعيد وكأني في غيابة الجب وحيده، لا أملك غير صراخي ، هلوساتي، علها تصل إليك فتخبرك كم أن ليلي موجع ! آه يا ألم!

أشعر بأن الأفكار التي في دماغي كبوتقة ملتهبة انفجرت فتركتني وحيدة أصارع آثار انفجارها على جمجمتي، الأفكار لا تتوقف، وكأني وسط سيل من السيوف في وسط معمعة، في ظلمة الليل الحالك، والإعصار يكاد يطير بالسيوف ويرعب الخيول، فكأني لا أخاف سيف عدو فقط، بل أخاف أن يخونني

الظلام، أو يغدر بي الخيل، أو يسقط السيف من يدي بفعل الرياح العاتية، وكأني أرى الموت شبحا أمام غرفتي ينتظرني أن أتعدى الباب ليلتهمني. لا أدري من أين سأرى التفاؤل؟ أما آن لليل أن ينجلي ؟ والإعصار أن يسكن؟ والسيف أن يثبت؟ والعدو أن يفر ويبتعد؟ أم أن ليلي كله سأقضيه أصارع أفكاري عدوي وسيفي عقاقيري والإعصار الكئيب الذي يجتاح نفسي، ليت كلها هذا يتلاشى ويتوقف فتهدأ نفسي وأنام، وهل بعد «ليت» طموحا أكثر!

مهارة التواصل

كل العامة من حولي يتفقون على أمر واحد بشأني، هو أني ضعيفة في التواصل الاجتماعي، هم لا يدركون أن ضعفي هذا إنما هو أحد بنود مهاراتي للتواصل مع الناس من حولي، غريب أمري، أن لا أتواصل مع العامة هو من بنود التواصل معي، التي لا أحيد عنها أبدا، دائما أعاهد نفس على أن لا أحدثها إلا بما يستحق، كذلك حديثي مع الناس لا أحب أن أشارك غيري في حديث لا يفيدني ولا ينمي في شيئا ذاتي، وأغلب أحاديث العامة من حولي هكذا، هم لا يدركون أني فائقة التواصل مع من هم أمثالي، لأنهم لا يلاحظون أو بالأحرى لا يكترثون بملاحظة هذا أصلا، وإلا لعرفوه فور معرفتي بهم، - حقيقة - أحيانا كثيرة لا أبالي بالعوائق والعقبات التي توضع أمامي والتي تحد من تواصلي مع من أريد. مهارات التواصل التي لا أشعر بالأسف لأني لا أتقنها هي أني أضعف مخلوق في الكون تواصلا مع الطبقات التي لا تهمني، أعلم أن هذا الكلام مثير للنرفزة ولكن أؤمن دائما أن القدر كفيل بأن يصلح ما أفسده قلمي هنا، ربما يمكنني تعليل عدم مبالاتي بهم، لأني أؤمن أن أوقاتنا أثمن من أن نضيعها هباء هكذا في أشياء لا تستحق، الوقت عندي

كمهندسة كل شيء، ولا أحترم من لا يعطي للوقت قداسته، لذلك الوقت لا يستحق إلا أن نطيعه، ونشغله بما يستحقه، فالعظيم هو من عظم لديه وقته وشغله بما يرفعه، والهين من هان لديه وقته وشغله بما يحطه، فأختر أي الطريقين تريد أن نسلكه ؟

الحب

الحب في نظري هو ذلك الأفيون المنشط، غريب هذا الوصف أدري، لكنه ليس كذلك لمثل حالتي، ربما لو أوضحت أكثر لزال هذا الغموض، هو أفيون لمخاوفي ، ومنشط لسعادتي، عندما أحب أشعر بالأمان لأني أتيقن أني عندما أخطئ أ ن هناك نفس ستحاول جاهدة ولو قليلا تهدئة نفسي المرعوبة من هول تأثير الخطأ على حياتي. الحب مثل الماء البارد يشعر جسدك بالاهتزاز فينفض أثناء اهتزازه كل مخاوفه وقلقه وهمومه، من الجميل جدا أن تجد هناك شخصا في هذا الكون يربطك به إحساس صادق وخالص ؛لأن الحزن عندما يشتد عليك وعندما تسيطر الكآبة عليك فإن تأثيرها سينقسم على اثنين ويقل تبعا لذلك، بدل أن يتراكم كلها على قلب ضعيف وحيد لا يوجد أحد حوله يتواصل معه سواه. الحب مثل الطفل الرضيع الجميل كلما أخذ منك كلما ازداد جمالا وقوة، هكذا أتصوره،ولعله هكذا!

لا تبالي إن أخذ منك الحب كثيرا ولم يعطك في المقابل، فهو إما يرجيه لك أو يعجل به، فإن أرجاه لك فتأكد أن قدرك لديه عظيم، فهو لا يستعجل بالعطاء إلا للبؤساء الضعفاء، أما

الأقوياء أمثالك فالحب لا يحل وثاقهم معه سريعا لأنه يرغب في أن تكون بقربه دائما، يسمع نجواك، وشكواك، ويتلذذ بصوت تضرعك، ستجد في قسوة الحب لذة، وفي لينه ويسره نزرا يسيرا منه، لكن حذار أن تشاده إن أبطأك؛ فما شاده أحد إلا صرعه، وقتل قلبه، وأدمى مشاعره، كن معطاء في الحب، وانتظر الثمرة ولو بعد حين، فما خاب من غرس تمرا!

أشعر بالحب أكثر عندما أكون مهووسة وأفقد لذته عندما أكون مكتئبة، الهوس يجعلني بجانب مفكرة مجنونة، يجعلني كائن منتشئ بالحب، يعلمني فجأة كيف أحب كل شيء وبعنف، أحب الهوس لأنه أحيانا كثيرة هو مرادف للحب، بدون الحب لا استطيع أن أكتب، فحب الكتابة هو الذي يدفعني للكتابة، وبدون الحب لا استطيع أن أحترم، لأني أحترم فقط من أحب، وبدون الحب لا أشعر بلذة شيء، لأن الحب هو سكر الوجود، الهوس يجعلني أفلسف الحب كعقل واعي يدفعني لفعل كل شيء أقدر عليه، الهوس يجعلني أتعلم كيف أحب بعقلي، عندما أكتئب لا أحس سوى بألمي ونفسي وآلام الآخرين من حولي، الهوس يعلمني أن الحب فكر أكثر من كونه إحساس، لأن بعد الحب إرادة، والإرادة لا تخرج إلى من العقل، الهوس يجعلني أحب ألف شيء في أقل من ثانية، والاكتئاب يدفعني لأن أكره كل شيء طول الدهر.

كيف تذاكر؟

هذا السؤال الوحيد في العالم الذي رغم أني أكرهه جدا إلا أني أجيب عليه، فعادتي أن السؤال الذي أكرهه أقابله بأذان صماء وشفاه بكاء،إجابتي عن هذا السؤال تعود لعدة أسباب من بينها أني أرغب في أن يتوقفوا لاحقا عن تكرار علي مرة أخرى، والإجابة التي أجيبها دائما تعتمد على طارح السؤال، فإن كان بيني وبينه معرفة سابقة فإن الإجابة تكون أقسى نوعا ما وهي : «سؤال غبي»، اما إذا كان الشخص السائل ليس بيني وبينه أي علاقة سابقة فتكون إجابتي مغايرة وأخف وطأ وهي: «إبحث عن الإجابة في نفسك».أما أنتم أيها القراء المحترمون سأمنحكم إجابة من نوع خاص، وذلك لسببين أولهما: أنكم تكبدتم العناء لشراء كتابي وقرائه كلماتي وثانيهما أنكم قطعتم شوطا كبيرا ووصلتم إلى هذه الصفحة وهذا يعد إنجازا عظيما يرفع من معنوياتي.

أنا أؤمن دائما أن الاستذكار إنما هو وسيلة يقوم بها الشخص المجتهد للوصول لهدف ما، قريب أو بعيد المدى، ويختلف هذا الهدف من شخص لآخر، فمنهم من يهدف من وراء الاستذكار أن يكون اسمه أحد الثلاثة الأوائل على الكلية، والآخر يهدف

من خلاله أن يجمع كل المعلومات الممكنة التي تجعله إنسانا ناجحا في عمله، وثالثهم قد يهدف من الاستذكار مجرد الاستمتاع به من خلال جمع المعلومات والتقصي والبحث عن الجديد يوميا، وحقيقة لكوني أعرف الأنماط الثلاثة وأصحابها، فإني سعيدة بأن أصرح بأنني من النوعية الثالثة وكل الفخر، لذلك استذكاري إنما يكون شبه لحظي بل لا تمر ساعة دون أن أفتح كتاب أو أتصفح موقع حديث للدروس المخصصة، وهذه الطريقة هي أشق الطرق في الاستذكار، لكنها توصل للقمة فور إجادتك لها، كل هذا يعتمد أولا وأخيرا على هدفك ورغبتك، فهما يحددان وسيلتك المثلى التي ينبغي أن تتبعها، وعلى خطواتها سر وتوكل!

المهدي والصفعة

تحدثت مع نفسي كثيرا عن المهدي المنتظر، وذلك في فترة قصوى من فترات هلوساتي، وكله بسبب مرضي الشديد، لولا أن سيطرت تلك الهلوسات على عقلي وأخمدت بل شلت حركة جوارحي لما كان لها أي تأثير على عقلي، فعلت كل ما يفعله الشباب الطائش البعيد عن ذكر الله، فتركت السنن والنوافل، وتركت قيام الليل ريحانتي في الحياة، وطليت أظافري لأول مرة في حياتي، وتنمصت، كله بسبب خيالاتي الوهمية بأني المهدي المنتظر، وما زاد كل ذلك أني هاشمية من نسل أحد سبطي الرسول الأغر الميمون صلوات الله وسلامه عليه، وأني أملك شامة على خدي، فساعد كل ذلك على تصديق الهلوسات التي تسيطر علي، أني المهدي المنتظر فإن الجنة قد ضمنت لي، كنت أفكر هكذا، فالجنة مضمونة للمهدي بدليل بعض الأحاديث التي روج لها الشيعة في مواقعهم ؛ ولأنه طاؤوسها، وكنت أتردد كثيرا على المواقع التي تسكن نفسي وتهدئها وهي المواقع التي تتحدث عن المهدي المنتظر وصفاته الجسدية والجسمانية، وبدأت أقرأ تلك الخرافات وأصدقها، وأن المهدي مسحور وأنه في سرداب تحت الأرض ينتظر لحظة الميعاد التي يخرج فيها،

وكنت أحلم أني في غار تحت الأرض، فجعلت نفسي تحدثني عن الجنس وأمور أخرى لأفعلها طالما أن الجنة قد ضمنت لي، ولم أفق إلا بصفعة قرأتها فجأة في كتب أختي الصغيرة عن العشرة المبشرين بالجنة وأن منهم سيدنا عمر بن الخطاب الذي ظل يدافع عن الحق إلى آخر رمق له، فإذا كان سيدنا عمر بن الخطاب رغم أنه بشر بالجنة ولم يغره هذا، وظل على استقامته إلى آخر يوم في حياته حين مات وهو يصلي، فلماذا أنا مجنونة هكذا من أجل الجنة، وكأني انتظر صك غفران لأعيش حياتي بطيش وجنون. كانت صفعة قوية جعلتني لا أعرف النوم لمدة أسبوعين كاملين، لكنها علمتني درسا جيداً في الحياة، ولأول مرة أقول شكرا لك يا مرضي!

محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم

لا أدري ما أقول فيك، ولا أرغب في أن أقرأ ما كتب في تفاصيلك الخَلقية،لأني لا محالة سأقارن كل رجالات العالم فيك، وعندها سأرد خائبة ؛ لأنه لا يوجد أحد مثلك، وإن رأيت بأحد شبها بك يوما من الأيام، أخاف أن أنصدم عندما أعلم أنه لا يشبهك خُلقا ولا أدبا، لذلك سأكتفي بمعرفتك بروحي وقلبي العصيان على طاعتك رغم حبهما الجم لك. أحيانا كثيرة أشعر أني بعيدة عن سيرتك بسبب أن الله يكرهني، وأحيانا أشعر أني غريبة عن رغبتي في إتباع سيرتك لكني لا أتبعها، ربما لأنه لا يوجد شيء هنا يشجعني على ذلك، السر الكبير الذي أود إخبارك به أنني أحبك رغم عصياني لك، وأرغب في أن تشهد وريقاتي هذه بأني صليت عليك حبا وطمعا في شفاعتك، والسر الآخر الذي أودك أن تعرفه هو أنني من يوم أشتد علي المرض وأنا أتخيلك صورة حية في مخيلتي، والمشكلة الأكبر أني لا استطيع أن أبوح بما أراه فيك، غير أني أرى حزنا في عينيك، والدمع في مقلتيك رقراق،يا حبيب قلبي وقرة عيني، يا جدي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، لا أدري حقيقة

ما يقولون أن نسبي يرجع لنسبك، ويلتقي في نقطة ما بنسبك، ولا أدري أيضا هل ستقول لي يوما من الأيام كما قالي لي ذلك الغريب «أنا فخور فيك»، هل أنت حقا فخور بي يا رسول الله؟!، وقبل أن أنتهي حتى من كتابة هذا البوح إلا وعيني تقع على كتاب استعرته من مكتبة جامعة السلطان قابوس لمراد ويلفريد هوفمان بعنوان : «الرحلة إلى الإسلام» يقول فيه : «لو كانت الجوزاء هدف لما وصلها إلا محمد صلى الله عليه وسلم»، ودمعت عيني لقراءتها وأنا أتذكر كل بوحي السابق، وشعرت بوخز ضمير أني كتبت وكأني لم أكتب ما يساوي تلك الجملة التي قالها ذلك الغربي.

رسالة مشفرة

13569_ 9386_ 1113_ 16459_ 8295_ 92219_
8151529_ 5421

وسعت كتاب الله لفظا وغاية .....وما ضقت عن آي به وعظات

الجهاد

دائما يتردد على بالي، لا يكاد يفرقني، أتخيل نفسي وسط معركة، الكل يقاتل بسيفه،وأنا في وسط المعمعة، لا أعرف ماذا أفعل، التأريخ غزير بأسماء نسوة جاهدن في سبيل الله، وكن درعا لصدر رسول الله صلي الله عليه وسلم، وأنا أسأل نفسي، هل سأقوى على الجهاد؟ هل سأقوى على خوض معركة مثل هذه؟ هل سيقوي بدني على الصمود وسط سيل السيوف والسهام المندفعة نحوي ؟ ولماذا هذه الفكرة، فكرة الجهاد، لا تتوقف عن غزو فكري وعقلي وتهز بدني وكياني خوفا ورعبا من أن أكون أضعفهم إيمانا، لإيماني بأن المجاهدين هم أقوى الناس إيمانا وأبعدهم عن النفاق، فليس هناك امتحان أقوى لتمحيص الإيمان من الجهاد، ولا يفلح إلا من اجتازه، كل هذا كان يدفعني أن أتساءل عن حكم جهاد المرأة، حتى أنني سألت أشياخي في العلم كثيرا هذا السؤال، حتى تخف وطئه هذه الهلوسات على قلبي، ورغم أني أعلم الإجابة إلا أن خواطر الجهاد وأحلامي عنه لا تتوقف ، أحيانا أقول ربما هذه تنبؤات لمعارك سأخوضها في حياتي، سهامها وسيوفها مصائبي.

لا شيء يؤلمني أكثر من ذكر الجهاد، ولا شيء يفتح جروحي ويعصف بذهني وأنا أصرخ يا الله..ياالله.. مثل تلك العبارة التي قرأتها في ديوان فدوى طوقان للمجاهد الشهيد الذي كتب مذكرة قبل رحيله عنونها ب «زغرد يا رصاص وأخرس يا قلم»، أرجوك لا تخرس قلمي، فأنا لا أملك رصاصا فأزغرد..

ألمي ما يزال يستمع لفدوى وهي تقول:

أجلس كي أكتب، ماذا أكتب؟

ما جدوى القول؟

هل أحمي أهلي بالكلمة؟

هل أنقذ بلدي بالكلمة؟

كل الكلمات اليوم

ملح لا يورق أو يزهر

في هذا الليل

وأنا أقول يا فدوى : «أنا أكتب كي أرتاح، لعله يهدأ قلمي».

الصلاة

أبحث عن الله في كل صلاة أقف فيها بين يديه، وفي خضم معركة بحثي عن الله تتيه مني نفسي وأنسى دنياي وأشعر بقرب ابتعادي عن الحياة، ذلك البعد الذي يجعلني كائنا مضطربا لا يعرف الراحة ولا الطمأنينة، دائما أسأل نفسي كيف أشعر بالطمأنينة في صلاتي وأنا بشر مذنب من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، كيف أشعر بالطمأنينة وأنا لا أعرف متى سألقى الله وهل سألقاه وهو راض عني، كيف أشعر بالراحة والطمأنينة وأنا في حضرة مليك مقتدر، وحولي الملائكة تحفني، يا ترى لماذا صلاتي هي مبعث رعبي وخوفي في حين كانت هي مصدر راحة الرسول صلى الله عليه وسلم، أترى أن الراحة مرحلة لا بد حتى تصل إليها من أن تمر بمراحل الخوف والقشعريرة هذه، متى ياترى ستسكن نفسي كما سكنت نفس رسول الله عند صلاته، أم أنها مرحلة لا يصلها إلا الأنبياء فقط.

دائما أراجع نفسي علي أجد إجابة عن مثل هذه الأسئلة، ولكني أتذكر حينما تنتهي الصلاة أني فقدت نفسي في أول المعركة، حينما قررت البحث عن الله وأنا أصلي، هل يا ترى سأصل إلى قناعة يوما من الأيام بأن أتوقف عن البحث عن الله وألتفت

للبحث عن نفسي علي أجدها يوما في طريق صلاتي المحفوف بالرعب والخوف، ربما... أقول ربما!

الزواج

هي التجربة الوحيدة في هذا العالم التي أخاف منها، وبمقدار ما تسببه لي من خوف بمقدار ما تسببه لي من التحرق شوقا لخوضها، كل تجارب العالم أخوضها تاركة أذيال الخوف خلفي تجر نفسها دون أن أتكلف عناء جرها معي إلا تجربة الزواج، وذلك لأسباب عديدة أحدها لأنها شرع أمر الله تعالى به وحثت عليه السنة المطهرة ، وغير تلك الأسباب أنني بفضل هذه التجربة سأتمكن من إنشاء مستعمرتي ومملكتي الخاصة من أناس جاءوا من رحمي ويحملون بعض إن لم يكن كل مواصفاتي، فلا أريد لصورتي النسخة مني أن تهتز أمام كياني عندما أجد مركبات النقص تغرقهم كلهم، علاوة على ذلك فإني أؤمن أن هذه التجربة -التي هي الزواج- هي مصدر لحرية جيدة سأجربها بكل إرادتي وقدراتي وأحسبها مصدر لطمأنينتي وراحتي واستقراري لأنها التجربة الوحيدة في العالم كله التي سأختار كل عناصرها بمحض إرادتي وقدراتي وأحسبها الخير كله. يقولون أن الزواج مقيد للحريات، على خلافي أنا، فأنا أؤمن أن الزواج هو الحرية والمسؤولية ؛ لأن الشخص عندما يتزوج فهو بالتالي يتحرر من تبعية أهله ويصبح شخصا مستقلا بنفسه عن كل

تأثير، أي يصبح مصدرا لحرية جديدة لنفسه، حياة جديدة يفعل فيه ما يريد ولا يجني غير ما تصنع يداه، فلن يعلمك أحد كيف تربي أبنائك ولا كيف تكون أبا ناجحا أو أبا حنونا، ستكون مستقلا حرا بنفسك توجهها حيث تريد، الزواج هو الحرية، ولكن حرية من نوع آخر، فهو حرية مسؤولة، أي أن كل ما تفعله بحريتك في أسرتك وزوجك ستنعكس آثاره عليك أولا وأخيرا، فأنت الأب الوحيد في البيت، وأنت الزوج الوحيد في البيت، فأنت وإن لم يحاسبك أحد على تربية إبنك لأنك حر في ذلك، فأنت مسؤول في النهاية إذا أصبح ابنك معاقر للخمر ، لأنه سيؤثر عليك أنت كأب، فمن لك بعد هذا الابن، ومن سيبرك إن كبرت وأنت لا تملك أحدا غير أبنائك وزوجك، كن حرا باختيارك لكن مسؤولا عن ذلك باختيارك أو رغما عنك !

الحرية

آه ما أجملك ! وبمقدار ما أنت جميلة بمقدار ما أخاف منك، لأني عندما أعشق شيئا أدمنه، وكلما أدمنته كلما زاد انفصالي عن العالم، وكلما زاد انفصالي عن العالم كلما غرقت في وحدتي وكلما غرقت في وحدتي كلما تمكنت مني وسيطرت علي واستولت على عقلي وكياني، فحريتي هي وحدتي، وإذا سلبت مني حريتي فجأة بقيت رهينة الوحدة لا أقوى على التخلص منها وبقيت آثارها مغروسة في كياني وزادتني ألما وحزنا وكآبة، وكل هذه الأعراض التي تسببها الوحدة لن تنجلي آثارها ولن تندرس علاماتها إلا إذا استعدت حريتي من جديد، التي غالبا ما استغرق فترات طويلة حتى أملكها واستأنس بها وتملكني ولا أقوى على أن أملكها.

دائما ما أبحث عن سراديب مخفية توصلني لك ولا أملك غير أن أنتظر القدر لعله سيهدي لي يوما هدية من نوع خاص، قلبها حريتي وغلافها وحدتي.

لا أرغب أكثر من أن أعيش بحرية، فأفكاري التي أؤمن بها وأعتنقها لا تظهر جلية إلا بحارس أمين مثل الحرية ؛ لأني أخاف على نفسي من الآخرين وحريتي تضمن لي السلامة

من كل معتدي يرغب في الاقتصاص مني، الحرية مثل طوق النجاة لأفكاري من الغرق والتماهي بين شخصيات الآخرين المغلفة بالأقنعة التي تتربص بك الدوائر، وحدهم من يملكون الحرية هم الأمناء الذين يشعرون بالأمان، فمجتمع تنعدم فيه الحرية ينعدم فيه الأمان، فالأمان ليست ظاهرة مجتمعية، بل ظاهر نفسية إن لم يشعر به الإنسان داخله وبين أوصاله وروحه وجسده لن يشعر بها وهو في مجتمعة، والأمان النفسي لن يتحقق حتى يكون الإنسان متصالحا عقلا وجسدا وروحا، يسمع همس روحه وفكر عقله فيبرمجه لغة ظاهرة جسديا، وهذا لا يكون إلا إذا كان حرا، أم الإنسان الغير آمن فإن عقله وفكره وروحه في معزل عن جسده لأنه لا حرية ينعم بها، فجسده يوجهه مجتمع خارجي تقتضي المصلحة ، فيعيش خيالات وأوهام يتمنى ألف مره أن تزول، ولا تزول!

الحــق

الحق عدل من نوع فريد، والعدل هو الخير، والإسلام هو الحق والعدل والخير كله، عندما تتحدث عن الحق فقط تحدث عن الإسلام، فهو الذي لا يأتيه الباطل ولا يعتنقه الأشرار، أؤمن دائما أن الإسلام المتمثل في القرآن والسنة هو السلاح الوحيد الذي يحارب كل شرور العالم التي يقودها الباطل، وطالما أن الباطل أسهل من الحق وعمله لا يتطلب الجهد الكبير فإن العالم كله يشهد على مساوئه وفساده، لذلك أتباع الشر أكثر من أتباع الحق،وإلا لما كانت الجنة جزاء إلا لأن الأمر جليل والحق عظيم وإتباع مسيرته مرهق ومكلف، على خلاف الباطل الذي فعله شهوة واقترافه لذة وأمره كله متعة، وبرغم كل ما يسببه الباطل من آفات وأضرار فهو أدل الأشياء على الحق، حيث أن الحق لا يعرف إلا بالباطل، فإذا أختلط عليك الأمر يوما من الأيام بين الحق والباطل، ما عليك سواء أن تحكم القرآن والسنة، فإن عجزت عن هذا جرب أن تعتنق أيهما بظنك أقرب للحق، فإن خاب توقعك ووجدت باعتناقك له فسادا كبيرا، فتأكد أن الحق هو نقيضه، عندها تكون قد عرفت الحق بالباطل.

الطموح

السعي للمعلوم نهايته المجهول أحداثه، هذا هو الطموح، هو ذلك الشيء الذي يستحوذ على عقلك طيلة الوقت، يجعله ينتظر اللحظة القادمة بفارغ الصبر، هو بمثابة الوقود للمحرك، فإن افتقد المحرك للوقود أصبح خامدا جامدا لا يقوى على فعل شيء غير الأمور الروتينية، والأعمال المعلوم بدايتها ونهايتها ومعلوم كل أحداثها وتسلسلها بالترتيب، وعادة ما يرافق الناس الخالية من الطموح طمأنينة الكسل وحب الثبات، فلا يوجد إنسان أكثر قلقا من الطموحين، وهم لذلك أكثر الناس عرضة لأمراض القلب وضغط الدم وخاصة إذا كانت هذه الطموحات يتوقف عليها أمور حياتية شخصية تمثل وجودك ككائن حي ومسؤول في هذا العالم المحيط بك. الطموح وسيلة من الوسائل الموصلة للنجاح، وهذه الوسيلة مضمونة النتائج إذا وافقت أحداثها الظروف الملمة بالإنسان الطموح، وكانت تخوض معه الحياة بكافة همومها وآلامها في نفس الاتجاه، أما الإنسان الذي يكون طموحه وأحداثه عكس تيار الظروف المحيطة به فإن هذا الطموح دائما ما يوصل لطريق آخر غير طريق النجاح؛ لأن الإنسان إنما يعيش الحياة بظروفها وبيئتها الملائمة له، فإن

عاكس ظروفه خرج عن طريق الحياة، وأصبح إنسانا ميتا، فالإنسان لا يعيش إلا بالتفاعل بينه وبين الظروف، التي هي مادة الحياة على هذه البسيطة، ومتى كان تفاعله إيجابيا كان إنسانا يملك كل مقومات الحياة، وإن كان طموحه وأحداثه مع هذه المقومات كتب له النجاح في النهاية. طموحي الوحيد الذي يناقض كل ذلك فلا هو مواتي للظروف ولا هو مرحب به حاليا في أرض بلدي هو أن أكون مهندسة نووية، كل فلسفات العالم تقول لي في هذه اللحظة أنه طموح لا جناح له، رغم ذلك يستمر عقلي في عناده معاندا كل قواعد العالم، وكأنه يرغب في برهنة صحة نظريتي هذه فقط لا أكثر، وإلى الآن لم تأذن له الظروف بالظهور، قبل حتى أن يأذن هو لها، ولله الحكم من قبل ومن بعد.

الوحدة

عندما يحاصرك المرض، وتبقى قعيد الفراش، الكل مشغول عنك بقضاء حاجاته وأداء فرائضه وواجباته، لا يبقى معك سوى فتات من عقلك وكتلة لا تتجزأ من قلبك، وإن كانت ممزقة في حقيقتها، أما باقي جوارحك فهي في إجازة قد تستمر إلى أجل غير معلوم لا نهايته ولا مسيرته، يبقى عقلك الوحيد الذي يمدك بالهلوسات التي تتحدث بصوت هادئ وعندما لا تجد من يسمعها تبدأ في الصراخ، قلبك تلك المضخة الحمراء تأبى أن تتوقف إذا ما توقفت هلوساتك وصراخك، تظل تعزف سيمفونية بإيقاع ونغمات متتابعة تعلو وتنخفض تارة بعد أخرى، قلبك لا يجد موضوعا غير نفسك، لأنه لا يوجد في غيابة الجب غيرك، ولأنه من الصعوبة بمكان أن يفكر قلبك بغير موجود سواك ؛ لأنه لو فكر أو حاول حتى التفكير بذلك لطالب بأشياء أبعد من مجرد التفكير، وعدت قلبي أن لا يحاول التفكير بالله فهو أكبر من أن يتحمله، وأرشدته أن يكتفي بنفسي فهي مدد كاف وزيادة لفترة مثل هذه، عندما أمسك قلمي وأكتب هلوساتي تكون حالتي ثابتة ومستقرة ؛ لأنها لو كانت غير ذلك لما كتبت إلا عن همي وحزني وكآبتي، عندما

تبدأ قرون الاستشعار في جسدي الداخلي بالعمل يتوقف عقلي عن العمل، ويبدأ كل قرن من هذه القرون في التنافس على أداء عمله أيهم يلتقط أسرع موجة ألم واكتئاب تجتاح نفسي، لعلي يوما من الأيام وفي مثل هذه الصفحات سأصف لكم على وجه الدقة ما يحصل لي من شعور و أحاسيس تتعلق بالحزن والكآبة، الآن ما عليكم سوى أن تنصتوا صامتين لحديث عقلي المبجل، ولن أمانع لو تحدثتم قليلا مع كتابي، على الأقل فهو يتسمع حديثكم لأنه كتب بإخلاص صدقوني.

الموت

الموت هو ذلك الحاضر الغائب، المعلوم المجهول، فأما حضوره فهو في ذهني وذهن جميع المؤمنين الخائفين الوجلين من الله تعالى، وأما غيابه فهو محدود بأمد مؤجل لا يعلمه إلا الله، وقد غابت حقيقة موعده عن كل الخلائق رحمة ورأفة بهم، أما معلوميته فنستقيها من القرآن والسنة المطهرة، وأما مجهوليته فهو لم يظهر كله ، ومعظم أحداثه عائبة لا يعلمها إلا من جربها، وكل من جربها على وجه هذه البسيطة لا تواصل بيننا وبينهم، فهو السر المكشوف، السر الذي يذهب مع من يسرقه يوميا منا، وهو مكشوف لما ورد عن بعضه في الأخبار والأثر.

الموت كما وصفه الشاعر أبي الحسن التامى هو مجرد «أخبار» يخبر به الناس بعضهم بعضا، حتى يأتي اليوم الذي نكون فيه نحن الأخبار، ولقد أجاد في الوصف حين قال:

حكم المنية في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار
بينما يرى الإنسان فيه مخبرا حتى يرى خبرا من الأخبار

الموت هو البداية والنهاية، هو نهاية الحياة الدنيا وبداية للحياة الأخرى، هو الواعظ الصامت والزاجر المرعب، لا يتعظ

بـه إلا ذو لـب، ولا ينتظـره إلا الحـكماء، هـو الحقيقـة الـتي لا مفـر منهـا ورغم ذلـك الـكل يتجاهلهـا.

في مـرضي مـرت عـلي شهـور وأيام وأنا لا أذكـر شـيئا غـيره، ولا أحـلم سـوى بـه، ولا يفارقـني لحظـة واحـدة، هـو الـذي سرق النـوم مـن عيـني، وذهـب بلبي وجعلـني شـاردة الذهـن لأكـثر مـن عامـين، هـو ذلـك التفكـير المرعـب الـذي أخـذ بفكـري وأسـتولى عـلى جـوارحي وجعلـني شـبه منهـارة، يهـتز بـدني بذكـره، وترتعـش أوصـالي بتخيـله، رغم كل هـذا وذاك، فإنـه كلمـا أقبـل عـلي كلمـا عجـزت عـن مواجهـة ربي، وقلـت عبـادتي لـله، وكأنـه شـبح يخيفـني ويرعبـني، ولم أتوقـع يومـا مـن الأيام أن يبعـده عـني وعـن عقـلي وفكـري وكل جـوارحي مجـرد حبـات صغـيرة مـن الأدويـة آخذهـا بجرعـات بسـيطة صبحـا ومسـاء، جعلـني كل ذلـك أتذكـر قـول الشـاعر:

لا تحقرن صغيرة في معاملة إن البعوضة تدمي مقلة الأسد

وداعا أيها الأسد لأجل غير مسمى، ومرحبا بالبعوضة!!

الجنون

فـترات جنـوني في الحيـاة هي تلـك الفـترات الـتي أصـاب فيهـا بالهـوس، وهي نقيـض الاكتئـاب تمامـا، فالاكتئـاب يجعل إحسـاسي يشـتعل ويجعـل عقـلي وفكـري يتوقـف ويشـل، أمـا فـترات هـوسي فهي الفـترات الـتي أشـعر فيهـا بأني صـاروخ منطلـق بسرعـة قصـوى يرغـب في أن يغـادر الأرض إلى أقـصى نقطـة في الوجـود، وهـوسي هـو الـذي يسـبب لي الجنـون، فأكـون إنسـانة فرحـة مرحـة، أحـب فجـأة الطبـخ الـذي لا أحبـه، وأحـب التنظيـف الـذي لا أجيـده، وأشرع في الكتابـة الـتي تسـتغرق مـني سـاعات، وأدخـل في كل معمعـة وصراع بروح متمـردة وشـقية، وأصبـح شـاعرة وقاصـة وفلكيـة ومؤرخـة ورسـامة وفارسـة وكل شيء في الوجـود، حـتى لـو طلـب مـني أن أقفـز مـن قمـة إيفيريسـت وأنا في عنفـوان جنـوني وهـوسي لربمـا قفـزت- ولكـن بمظـلة طبعـا-!!

بعـض صفحـات هـذا الكتـاب كتبتهـا في عنفـوان جنـوني، ذلـك الجنـون الـذي يجعـل عقلـك يعمـل بسرعـة الضـوء وأسرع ربمـا ؛ لذلـك أفكـر أحيـانا أنـه ربمـا الفكـر الإنسـاني ينتـج عـن طريـق عمليـات أسرع مـن الضـوء ؛ لذلـك لا يوجـد للفكـر جسـد يحتـله، أمـا أنا ففكـري في حـالة هـوسي وجنـوني فأتوقـع أنـه يجـاوز سرعـة

الضوء، لأني أشعر بأني آلة لا يتوقف فيها عقلي عن إنتاج الأفكار، والتحاليل والاستنتاجات، أحيانا كثيرة أشعر أن هوسي هو هوس من نوع راق، ذلك الهوس الذي يجعل من الصعلوك فارسا نبيلا، ومن طالب الابتدائية عالما عبقريا، يا إلهي، ما أروع أن تكتب عن الجنون في حالة من الجنون، لابد أن أتوقف الآن، وداعا يا أصدقائي ولي عودة مجددا في حديث شيق لموضع آخر بإذن الله.

درس الثقة

اجتزت عشرات الدروس في خمس مواد من أصعب المواد في الرياضيات في الجامعة ككل وبمعدل امتياز، إلا أنني الآن غير قادرة بل عاجزة تماما عن اجتياز امتحان واحد فقط يتألف من درس واحد فقط، مكون من ثلاث كلمات فقط وهو «لا تثق بأي أحد»، وإلى هذه اللحظة التي أكتب فيها أثار الضرب لا تزال تغطي فخذي وساقاي بسبب أني وضعت ثقتي في شخص لا يستحقها، نشر أسراري مستغلا ضعفي وقلة حيلتي كأنثى، قابضا من اليد التي تؤلم عائلتي، وبدل أن تمسك عائلتي باليد التي تؤلمه ردا بالمثل، أخذت تفرغ جام غضبها في جسدي الصغير علي يوما من الأيام وأنا أرى آثار تلك الضربات التي لا تزال صورها محفوظة لدي في كامرتي الصغيرة الوردية، أن أتذكر الدرس جيدا والذي لا يزيد عن ثلاث كلمات وهي «لا تثق بأي أحد»، ربما عدم قدرة عقلي وخلاياه الرمادية على استيعاب هذا الدرس وتنفيذه إيمانا مني بأن طبيعة البشر أصلها خيرة، وأن فطرة الناس التي فطر الناس عليها هي فطرة الحق والعدل والحب والخير والسعادة، ولأني أؤمن تمام الإيمان

واليقين أن الإنسان وإن كان ظاهره شر وأفعاله شر، مؤمنة كذلك أن هناك لا تزال به فجوة صغيرة تسمح بدخول كلام الخير من خلالها، وأنا بتواصلي مع هذه النفوس أحاول أن أجد هذه الثغرات وأجعل كلامي يصل إلى قرارة نفس الإنسان، عل كلامي يحرك ميتا وعل آهاتي التي يسببها حزني عندما أرى إنسان يستسلم للشر هكذا، علها تجتاح هذه النفس وتوقظها من سباتها ويستفيق عملاق الخير النائم في عمق كل نفس لا تظهر سوى الشر قولا وفعلا. قد يختلف معي كثيرون في هذا ولكن إيماني بأن اختلافنا رحمة وأن تبريري لفشلي في إتقان درس الثقة قد يكون تبريرا خاطئا، إيمان عميق وهادئ لا يطمح أكثر من أن يتعلم من كل درس يخفق فيه، وتستمر الحياة إلى أجل!

الشهرة

تبدأ مشوارها في الظلام ولأيام وشهور وقد تمتد إلى سنوات، وينتهي مشوارها في الأضواء ولدقائق معدودة فقط، الشهرة هي الشيء الوحيد في بلدي الحبيب الذي يجعل الناس يهتمون بك ويكترثون بأخبارك ويسمعون كلامك، أم الباقي الذيم لم يحالفهم الحظ في وصولها واعتلاء قمتها فهم في مهب الريح، تارة يعصف بهم ويرتفعون وتارات كثيرة يهبط بهم فينزلون للقاع، الشهرة قد يصفها البعض باللعنة الجميلة، أو العقوبة السماوية اللذيذة، فعلى رغم أن معظم متابعي المشاهير يكيلون لهم السباب والشتائم وينشرون فضحائهم فإنهم برغم ذلك لا يتوقفون عن متابعتهم، فهم يلعنونهم ويركضون وراءهم ؛لذلك هم على تواصل دائم مع الجمهور، وهذا ما شجعني في أن أكون مشهورة، رغبتي في أن أصل للجمهور لا ليصلوا هم لي، ربما يوما من الأيام سأكف عن الاختبارات التي أضعها لهم لأجذب العباقرة منهم، فحياتي مملة جدا، والعاديون يحيطون بي من كل حدب وصوب، رغبتي بالشهرة يحركها ويدفعها رغبتي في اجتذاب أعداد هائلة من العباقرة والأذكياء والمفكرين والفلاسفة ؛ لذلك وضعت في كتابي كل هذه الشروط والعوامل وطعمتها بمجموعة من الرسائل المشفرة التي يحبها هؤلاء المتحاذقين، وإن لم توصلني كتاباتي

للشهرة يوما من الأيام، فإنها كفيلة بجذب عدد لا بأس به من عباقرة المفكرين الذين حتما سيجدون لذة منقطعة النظير في التفكير مليا في محتويات مثل هذه الكتابات . الأصدقاء العاديون مملون لكن الأصدقاء المميزون دائما يضيفون لحياتك قيمة ما، هذا هو غرضي المعقد من الشهرة، وعلي أن أجدها يوما من الأيام، إن لم يكن بكلامي هذا، ربما بكلمات أخرى تخرج مني ويخبئها القدر لي.

قيل الشهرة قبر السعادة ولا أدري حقيقة مدى صحة هذه المقولة، حقيقة لا يهمني إذا كانت صحيحة أم لا ؛ لأني أعرف كيف أسخر الشهرة لا أن تسخرني هي، ومن يعرف ماذا يفعل بما يملك هو الإنسان السعيد، أم الإنسان الذي يصل لما يريده ولا يعرف ماذا يفعل به فهو الإنسان التعس، كالغني فاحش الثراء الذي يطلب المال ثم عندما يحصل عليه ينفقه فيما يضر، هل يستويان مثلا هو والثري الذي يسهر لإنفاق ماله على المحتاجين والفقراء . ليس المهم أن تصل لهدفك، بل المهم ماذا ستفعل حينما تصل. عظيم أن تصل لهدفك مثل الشهرة مثلا، ولكن الأعظم أن تحافظ على ما تملك حين تملك ما لم تكن تملك، ولأن البدء في الشيء أسهل من المداومة عليه، فهذا الكلام لا يستطيع الوصول إليه إلا من أحس به فقط، أو بالأحرى الإنسان الذي يعرف لماذا يفعل كل شيء في هذا الوجود، أو أن لا يفعل شيء إلا بهدف.

أحيانا أشعر أن كل هذا الكلام مجرد تبرير واهي لرغبتي في الشهرة الآن وبالتحديد، وداخلي موقنة أني أهواها لأني أرى أنها تجربة غريبة وغامضة، تجعلني كإنسان فضولي تثيره معرفتها

واستكشاف ماهيتها، أنا أؤمن بالعبارة القائلة : «الحياة مغامرة أو لا شيء» - مقولة هليني كلير-، والمغامرة لا تكون إلا في شيء لم يسبق لك أن جربته، لأنه غير مألوف لديك، عاهدت نفسي إن جربتها ولم أجدها لذيذة أن أهجرها في لحظتها، لا حاجة لي بهم فهم آخر هموم الحياة.

الصمت

قيل الصمت حكمة، وهذه المقولة أعتبرها غير دقيقة كونها وضعت الصمت على إطلاقه دون أن تحدد استثنائه وشروطه، فالصمت قد يكون سلبيا أو إيجابيا، وذلك اعتمادا على النتيجة المترتبة عليه، فإذا ترتب على صمتك نتيجة سيئة كسكوت عن حق أو ضياع واجب فهذا صمت لا ترجى فائدة منه، فالسكون عن الحق ذنب والكلام قد يكون فرضا أحيانا حين يترتب عليه رفع ضرر عن مخلوق أي كان، والحكمة لا تكون في شيء محرم ؛ لأن الحكمة هي فعل ما يحكم العقل والقلب بصحته، لذلك وفي مثل هذه الحالة فإن الصمت لا يكون حكمة أبدا، بل هو ظلم وضياع وخيبة وسوء خلق، أما صمت الحكمة فيكون نقيض ذلك، فإنه لا يكون في حالة يترتب على الصمت نتائج مبهرة كإعراض عن لغو، او مجالس غيبة ونميمة أو ينتج عن صمتك انقطاع حبل الشقاق والنزاع وبالتالي سكون العداوات ولو كان مؤقتا، ففي هذه الحالة ينطبق مثل الصمت حكمة على هكذا موقف، ونعم الصامتون كنت إذا انطبقت عليك هذه القاعدة، اما أنا فصوتي لا يساعد على كلامي معظم الوقت ؛ لذلك ألجأ إلى الصمت في أحايين كثيرة، وإن دخلت إلى منطقة الخطر

بصمتي، إلا أن نفسي لا تتحمل كثرة الكلام والقيل والقال والدفاع عن الحق ؛ لذلك أنا ألجأ إلى الكتابة لعلها تعوض عني ما فات من صمتي سابقا، وتكسر كل تلك الحواجز التي سببها مرضي لي ضعفا ووهنا، عسى يوما أن أكون من قائمة الحكماء النادرين الموجودين على وجه هذا الأرض، فالصمت حكمة أحيانا، والكلام عن الحق والدفاع عنه أحكم في أحايين كثيرة.

الفقر والثراء

جسدي وعقلي وفكري وكياني يملكون الحساسية المفرطة تجاه كل شيء في العالم ، إلا هذين المصطلحين "الفقر والثراء"، فأنا أعيش في كل بيئة أوضع فيها بكل أحاسيسي وأفكاري، لا أتجرد من شيء منها أبدا، سواء كانت البيئة التي أكون فيها بيئة فقيرة أم بيئة ثرية، لا أؤمن بالفقر والثراء الماديين كثيرا ؛ لذلك لا أبالي إن كنت أعيش الآن فقيرة أم ثرية، وسر ذلك كله هو أنني إنسانة أعيش بفكري وعقلي وإحساسي أحايين كثير، أعيش في هذا العالم وحيدة بين خضم هلوساتي، كل هذه العوامل المساعدة على بقائي حية هي عوامل تجعل مني غير مبالية لحالتي المادية، أؤمن دائما أن الفقر والثراء كلاهما خير لا ينقطع، فإذا كنت فقيرة مقارنة بالناس من حولي تولد لدي طموح كبير لأصبح ثرية، وإن كنت ثرية مقارنة بالباقي ولد لدي نوعا من الاستقرار والراحة الذهنية، وجعلني ألتفت لما هو أهم من هذه الماديات، ووجهت كل فكري وطاقاتي إلى رغبتي في العطاء، الرغبة المدفونة داخلي والتي لا تحتاج أكثر من صقلها وإخراجها بصورة ناصعة النقاء، وكل هذا وذاك في غنى عن الماديات ؛ لذلك لا حاجة لي من اليوم بالتفكير كم

يحتوي رصيدي في البنك ؛ لأني موقنة أنه سيأتي يوم من الأيام أبرهن فيه للعالم على نوع مختلف من أنواع الثراء والفقر، وهو النوع الذهني الإبداعي والفكري، النوع الوحيد الذي لك فيه حرية القرار في وضعه بأي خانة كانت وتحت أي بند من بنود الحياة التي يتحكم بها ظاهريا كلمتان لا ثالث لهما : الثراء والفقر.

الدنيا دوارة

لا أزل أذكر تلك المشرفة التي تتولى ضبط ومراقبة أحد أشهر المواقع العمانية في عمان وهي تسخر من كتاباتي وبداياتي، ولا أزال أذكر ذلك اليوم الذي نعتت فيه كتاباتي بالضعيفة، ولا أزال أذكر تبجح تلك الأخرى وهي تذكر أنها بصدد إنهاء مشروع أدبي، لم أتخيل يوما من الأيام أن القدر سيحمل لي مرضا من نوع خاص، مرضا يضعني وسط معمعة الكتابة؛ لأبدأ مشوار الكتابة، عنفوانه يستمده من القراءة والمطالعة ويتسع هذا العنفوان ليطول السماء، لا أدري من أشكر بعد الله تعالى على هذا، أأشكر قدري الذي سأقفي لهذه البداية، أم أشكر مرضي على الآفاق التي فتحها لي، وتستمر الحياة والدنيا لا تتوقف تدور وتدور، ترفع أناسا وتخفض آخرين، ويستمر الأمل على أن يتوقف دوران هذه الحياة على رقم جيد يحمل اسمي ويخطه بماء الذهب، والطموح سيد كل هذا !

لا أزل أذكر كلام أبي في كل أمر صعب يحصل لي قائلا لي محفزا : «افتحي صفحة بيضاء وانسي الماضي»، فإذا بعشرات الصفحات البيضاء تفتح لي وكأني مع موعد مع

القدر لأملأ تلك الصفحات بأفكاري وهلوساتي ؛ علها تعلن بداية حياة جديدة وانتهاء مشوار الظلام، وبداية قصة ألف نهار ونهار.

القــدر

القدر هو قوة الجذب الكونية التي تتدخل دائما في طريق ذهابك إلى شيء معلوم لتوصلك إلى مجموعة من الخبايا التي كانت مجهولة لديك، سواء كان بإرادتك أو غير إرادتك، تضطرك لاعتناق هذه الخبايا واتخاذها دنيا جديدة لك، هكذا حالي مع الكتابة، لم أفكر يوما من الأيام أني سأبيت الليالي وأتفرغ تمام التفرغ لتأليف كتاب يحمل اسمي، ويضج بأفكاري وهلوساتي عن أمور متفرقة كانت تباغتني منذ فترات طويلة، ولكن أجدني فجأة وأنا أمسك الورقة والقلم وأشرع في وضع أولى خطواتي في طريق مشوار الكتابة، الذي أوصلني له القدر في رحلة علاجي من المرض الذي تطلب الشفاء منه ما يزيد عن ثلاث سنوات، وكأن القدر يخبئ لي أمورا كثيرة لم تكن بالحسبان، لا أدري ما سر قوة الجذب الكونية هذه التي تأبى أن تخرجني إلا كاتبة رغم أني خريجة هندسة تخصص كيمياء ومعالجات تحليلية، وكان جل تفكيري أن أصبح عالمة باحثة علمية أو مخترعة كيميائية، ولكن يأبى القدر إلا أن يرميني بين هذه الخبايا، وكأني مجبرة على السير في طريق لم أخطط له منذ البداية، تاركة ورائي حلمي البعيد المدى الذي آمل يوما من

الأيام أن أعود له بكامل قواي العقلية والبدنية، وإذا لم يوافقني القدر وتبخرت كل تلك الأحلام وأصبحت مجرد أماني أسلي بها نفسي، اتمنى أن يعرف العالم أجمع أني أسير وفق خطة كونية كبيرة وضعها مخطط عظيم، هو أدرى مني بما هو أصلح لي، وربما سيأتي يوم من الأيام بعد أمد طويل من كتابتي لهذا الكتاب فأحدثكم عن نتائج هذا القدر، وأحكي لكم عن تأثيره في أحلامي القديمة، وهل لا تزال موجودة أم أن ذاكرتي خانتني ونسيتها أو تناسيتها حتى أحاول عيش هذه اللحظة بكامل سعادتها، وأدع القدر يوصلني حيث يشاء الله طالما أنه راض عن مسيرتي وكفى !

الجنة والنار

حين انهار عقلي من شدة ما حل به كان يصرخ لساني بقوله : «النار النار»، كنت أتخيل الحمم حولي تتطاير من كل حدب وصوب وكنت أشعر وكأن حلقي قد بلع جزءا كبيرا منها، وعندما استفقت وسط ظلمة الليل، وعاد لي جزء من وعيي، استفقت على جفاف هائل يكاد يمزق حلقي وأمعائي، وأنا أصرخ مستغيثة من حولي : «أنا في النار، أنا في النار»، جاءت أمي بقارورة ما من الحجم الكبير، شربت نصفها من شدة العطش والجفاف، حتى هدأت نفسي وتوقفت تخيلات النار عن العصف بمفكرتي، وما هي إلا أيام وتأتي النوبات حاملة معها رائحة النار النتنة وصديدها، وصور العذاب والهلاك، حتى وصل الأمر أني أتخيل نفسي وقد صعد بي إلى السماء في رحلة معراج من نوع فريد، نوع لا أتمنى أن يعيده لي الزمن مرة أخرى، ورغم كل ما شاهدته في مخيلتي كنت أتساءل دائما لماذا لا استطيع تخيل الجنة ونعيمها، بدل النار وعذابها،وكنت أدرك مثل كل مرة أن الخطأ دائما أسهل من الصواب، وأن العقاب دائما أبسط من المكافأة، ولا أزل إلى اليوم وأنا أمني نفسي بأن أرى ولو قطعة بسيطة من الجنة، ولكن أنى لي هذا وأنا بهذه

الحالة . مرت فترات طويلة والنوبات بين جيئة وذهاب حتى أنها تطورت في المراحل الأخيرة وكانت تغريني بالانتحار، معللة ذلك بأني في النار لن أخرج منها، ولن يعفو الله عني، فبدل من أن أستغرق في الدنيا الأفضل أن أعجل الرحيل عنها، حتى لا يزيد العذاب بزيادة يوم من الدنيا، كنت عندما تنتابني مثل هذه الحالات لا أقوى حتى على الحراك أو النهوض للصلاة، وأظل فترة طويلة لا أنام تتجاوز الثلاثة أيام، إلا أن يهدأ بالي وتسكن نفسي فأعود للحياة من جديد، ولم يقف الأمر عند الأحلام فقط، بل تجاوزه إلى الكوابيس المفزعة التي تكرهني في الحياة، فأنهض في كل مرة وكأن حملا ثقيلا على صدري، لا يزول حتى ولو ذكرت الله، وفوق كل هذا يتصبب جبيني عرقا.

العائلة ورسالة مشفرة

لاٌ يوجد عائلة على وجه الكرة الأرضية تخلو من متشابهين، فالأشباه يغطون أغلب الأسر على وجه البسيطة، رغم ذلك كله فنادرا ما يتخذ أفرادها أصدقاء من العائلة ذاتها، وتراهم يتوجهون خارجها بحثا عن أصدقاءٌ جدد فيٌ الحياة، ربما يعود هذا لعدة أسباب، أحدهم أن الصداقة بين أفراد العائلة تكون مملة جدا ؛ وذلك لطول العشرة وطول فترات التلاقي والتواصل بين أفرادها، والإنسان دائما يبحث عن المتعة والتسلية ولا يكون هذا إلا في الشيء النادر، وهذا يتمثل في اختيار صديق خارج العائلةٌ، كل من أعرفهم هكذا، وتصل أحيانا الأمور إلى العداوة والبغضاء بين أفراد العائلة المتشابهين خُلقا وخَلقا وكأنهم توائم أختارها الله لتعيش معا، أحيانا أحدث نفسي قائلة ربما لأنك عندما تعاشر شخصا وتعرف كل أسراره ومساوئه والقليل من حسناته عن طريق المعاشرة، ينفرك هذا منه تلقائيا، ولا شعوريا تجدك أبعد شخص على وجه البسيطة منه، رائع أن تكون الصداقة بحدود، تلك الحدود التي لا تتعداها إلى معرفة أسرار الشخص وطبيعة شخصيته، لأن معرفة ذلك كفيل بأن يهدم أول صروح الصداقة التي شيدت بينك وبين

صديقك، لذلك حاول أن لا تطلع أصدقائك على كافة أسرارك ونقاط ضعفك، فلا أحد يعلم منتهى تقلبات هذه القلوب، ولا أحد يعرف موقف صديقك منك بالغد، لذلك وجبت الحيطة والحذر-والتي لا أجيدهما- مهمات وخاصة في مثل هذه الظروف، أما بالنسبة ليٌ ولعائلتي فسري كبير بينهم، أودعت جزءا بسيطا منه هنا على شكل رسالة مشفرة واضحة لكل نجيب أريب، ولا داع لذكرها هكذا صريحة وعلانية، وهذا أول نجاح لي في درس الحيطة والحذر ؛ لعلي أتعلم من أخطائي يوما من الأيام.

الهلوسات

الهلوسات هي تلك التي تصدر مع الهذيان في غياب العقل، هذا هو التعريف الذي أعرف به الهلوسات، فغالبا ما أراها المخزون الفكري الذي تم التفكير فيه وتحليله في مرحلة من مراحل عمر الإنسان وفي ظروف معينة وتحت ضغط محدد، ونظرا لوضع ما أو مسبب أيا كان نوعه حال دون خروجها والتعبير عنها بالجوارح ؛ لذلك تم تخزينها في الدماغ وفي خلاياه الرمادية منتظرة الوقت المناسب لخروجها، ولكون لم يحن وقتها ومرت فترة طويلة عليه تم إحالة تخزينها إلى العقل الغير الواعي، لذلك حين يصاب العقل بالسقم ويسيطر الهذيان عليه، أو حينما يعطل الاكتئاب الحالة الفكرية للشخص، يبقى العقل الغير الواعي الذي لا يستطيع أحد إيقافه، فيقوم تلقائيا بإخراج تلك الكلمات والعبارات على شكل هلوسات تباغت الإنسان من حين لآخر، ولا تتوقف عن ذلك حتى ينتهي مخزونها ، وإلى الآن لا أزال أكتب كتابي هذا دون الاستناد إلى أي مرجع غير ما تم تخزينه في عقلي غير الواعي وأقوم بتفريغه هنا على شكل عبارات وكلمات، ولقد تعدى اليوم ما كتبته الخمسين صفحة، وذلك في أقل من أسبوع واحد فقط، راجية القدير

أن يلهمني الصبر ويقوي من عزيمتي لأواصل البوح بما لم أجد الفرصة المناسبة للبوح به، علني أخفف من آلام الرأس التي تستولي على دماغي وتحاول جاهدة وخز جمجمتي علها تنفك من أسرها الأبدي الذي حكمته عليها بسبب كسلي وجبني وقلة شجاعتي، فتعلن الثورة والحرب طلبا للحرية، وأنى لي أن أرفض وأنا في هذه الحالة، فلأول مرة أشعر بأني أمة لسيد عظيم، ويا له من سيد، ألا وهو العقل!

السؤال

السؤال هو الطريقة الوحيدة التي أجيدها في مداعبة الناس، أتوقع لو فارس أحلامي بجانبي، كل ما أجيد فعله بجانبه هو سؤاله والتحقيق معه، بإمكانك إطلاق كلمة «السؤال» كإسم بدل اسمي، سأفكر أحيانا أن أكتب على مؤلفاتي وكتبي اسم «السؤال الهاشمية»، ذكرني هذا الموضوع بحادثة وقعت لي قريبا، كنت منضمة إلى برنامج صيفي في كلية العلوم الشرعية بسلطنة عمان، وكنت مستعجلة في موضوع ما كعادتي، فوقعت في خطأ وانتبهت لي المشرفة الفاضلة هناك، ولاحظت أني أكرر دائما نفس الخطأ، والسبب العجلة، فقالت لي مداعبة سأناديك من اليوم فصاعدا «نورا المستعجلة»، عموما هذه كلها أسماء تؤدي الغرض، بإمكانكم مناداتي بأيها ترونه أقرب لشخصي .

نعود لموضوع السؤال، حقيقة تكمن قوتي دائما في قدرتي البارعة على طرح أسئلة ذكية وبسرعة تنم عن سرعة بديهة، فطارح السؤال دائما يعطي الجميع مؤشرا على أنه شخص منتبه وواع جدا لما يطرح في طاولة الحوار، الأسئلة تجعلني دائما متيقظة وحذرة، وتساعدني في الفهم السريع للموضوع المطروح، كما أنها تمنع أي تشتيت قد يحصل لي أثناء متابعة الموضع،

المتعارف عليه دائما أن السائل عندما يسأل أسئلة للضيف فهذا إكراما له، فلا تتوقع أنك ستحصل على فيض من العلم الوافر إذا لم تستغل الفرصة وتسأل محاورك بالأسئلة التي تقفز في ذهنك، كل ما عليك هو أن تتحين الوقت والفرصة الملائمة للسؤال، وأن تكون دقيقا ولبقا في طرحك للسؤال، وأخيرا أن لا تكلف ولا تتكلف، لا تكلف على المسؤول ولا تتكلف القدرة على الحوار، وأن تنسحب بهدوء حين تجد أنه من النوع الذي لا يحبذ كثرة الأسئلة، فقط أسأل فإن كان العلم مدينة فإن السؤال بابها.

البقاء لمن؟

دارون يقول بعد دراسة علمية مكثفة لعالم الحيوان والنبات، أن البقاء للأقوى، وفقا للمشاهدات التي سجلها أثناء قيامه بالبحث العلمي، نعم هذا صحيح لأن الذي يتحدث عنه دارون هو قوة العضلات وفي حالة واحدا فقط، وهي حالة الحرب أو الصراع بين هذه الكائنات الحية الغير عاقلة، السؤال الذي يطرح نفسه هنا : «في عالم البشر وفي حالة السلم وانعدام الحروب والصراعات بين الناس، البقاء لمن؟

البشر عبارة عن جسد وفكر وروح ووجدان، أي أنه عندما يتنافس اثنين على البقاء فإنهم يتواجهون جسدا بجسد، فكرا بفكر، وجدانا بوجدان، وأحيانا كثيرة لا يتواجهون جسدا بجسد إلا في حالة نادرة من الصراعات، وهذا ما كان يحدث في العصور الغابرة التي لم تكن توجد فيها دبابات وطائرات مروحية وبنادق، أما الآن فالناس يتواجهون فكرا بفكر ووجدانا بوجدان، وإذا كان أحدهما لا يقوى على المواجهة فكرا بفكر فإنه يلجأ إلى الخبث، إذا سلمنا في هذه الحالة أن الخصمين يتواجهان أخلاقيا أي فكر بفكر، فإن الإجابة حتما ستكون أن البقاء للأذكى، ولكن إن كانت هناك تجاوزات -وهذا ما يحصل

دائما- وتواجه الخبث مع العبقرية، فإيهما ينتصر؟

القرآن الكريم تطرق إلى هذه المسألة كثيرا، عندما يسرد قصص الغزوات التي خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم، مسألة أن يواجه المؤمن -ذو الأخلاق- الكافر -غير الخلوق-، وهذه مسألة مشابهة جدا لمسألة مواجهة الخبث مع العبقرية، الإجابة غير محددة، ولا يمكن استنتاج قانون معين يحدد من ينتصر فيهم، ولكن كل ما نعرفه أن الله تعالى وعد المؤمنين بالنصر في أكثر من موضع قرآني، إذا طالما أن النصر للمؤمنين دائما بمشيئة الله ؟ لماذا ينتشر الخبث بصورة أسرع من العبقرية؟ المفروض بدليل ديني قاطع أن العبقرية دائما تنتصر على الخبث، لأنها هي الأقوى وهي الأصح وهي الحق والعدل والخير كله، إذا لماذا أكثر الناس ليسوا بمؤمنين، والخبث هو الكثرة المنتشرة في الناس، بدليل ظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، إذا لماذا لا ينتصر الأقوى هنا؟

في نظري البسيط، هذا سؤال بمثابة بداية لسقوط نظرية دارون في البقاء، وإجابة هذا السؤال نقول: «يميل دائما الناس للسكون والراحة، والنوم والكسل ؛ ولذلك فإن الخبث هو أحد أسهل الوسائل الموصلة لنتيجة نهائية مثل النتيجة التي توصل لها العبقرية في أحايين كثيرة، ودائما أسهل من العبقرية هو الخبث، فالكذب أسهل من الصدق، والخيانة أسهل من الأمانة، والسرقة أسهل من الكف، والزنا أسهل من حفظ الفرج، لذلك ينتشر الخبث بسرعة وبصورة أكبر من العبقرية وإن لم ينتصر عليها ويتواجهان أصلا، إذا البقاء دائما لمن، العبقري أم الخبيث؟

الثقافة

التقافة في نظري وبطريقة مختصرة هي أن تعرف ما تفعل وما تقول وأن تجيد الفعل في الوقت المناسب، وتتقن القول في الوقت الملائم وبالطريقة التي تؤتي نتائج مثمرة وفي مدة زمنية قياسية دون الحاجة إلى عناء التكلف بصورة غير صورتك، وشخصية غير شخصيتك، مستندا في ذلك كله على عقلك كمرجع أساسي وعلى تجارب سابقة سواء أكانت لك أم للناس من حولك، أكانوا سابقين من أزمنة غابرة أم أناس عاشروك وعاصروك، وإن أمكن استخدام معلومات بسيطة مقتضبة لتحل محل تجارب الآخرين فهذا أمر جيد أيضا، ولكن لا أؤمن بأنه المثالي دائما، لأن المعلومات التي تتلقاها تحتاج إلى تصفية عميقة بالعقل أو بالتجارب، وهذه بدورها تحتاج لوقت كبير، وهذا ما لا يملكه أغلبنا، لا أؤمن بأن المثقف لابد أن أن تكون له هيئة معينة أو ملبس معين، فكل شخص يرتدي حسب شخصيته وحسب اللحظة التي تحيط به، لكن لا بد في الأول والأخير أن يكون جميلا.

أنا إنسانة أؤمن دائما بغلبة التفكير والاستنتاج العقلي حينما يتعلق الموضوع بكلمة مثقف، لذلك تجد كتابي هذا معظمة

نتاج عقلي أفرزته كثرة القراءة والمطالعة والتعرض لتجارب الحياة المختلفة، لكن رغم ذلك لم يتم حشوه بالمعلومات ؛ لأني متأكد أني ما أكتب عنه معظم الناس سيدركونه بعقولهم وبرصيد خبراتهم في الحياة ، فقط أردت أن أزيل الستار عن ما يختلج في نفسي وفكري وما يسيطر على عقلي في لحظة ما من هلوسات ورغبة في الصراخ، صراخ يكسر كل تلك الحواجز والعوائق التي تعيقني الآن وفي هذه اللحظة، أنا أؤمن أن الثقافة هي أسلوب حياة، ونمط معيشه، هي من توجهنا في كل لحظة وكل دقيقة ؛ لأن قوامها العقل وأساسها التفكير والتجربة، لاحقا وفي صفحة ما سأحدثكم عن العلاقة بين الثقافة والتمرد، والعلاقة بينهما والاستقلالية أيضا، وكيف أني أراهما وجهان لعملة واحدة هي التعقل.

التمرد والاستقلالية

وعدتكم سابقا أن احدثكم عن العلاقة بين التمرد والثقافة من جهة وبين الثقافة والاستقلالية من جهة أخرى، الثقافة مثل ما ذكرت سابقا هي عملية فكرية تتطلب الكثير من التحليل والاستنتاج، وهذا لا يتم إلا وبعد فترات من الزمن وساعات وأيام عديدة من الخلوة مع الذات، وأحيانا يصل الأمر إلى الانقطاع التام عن الوجود بمن فيه من أناس وضجيج الموجودات، إذا الثقافة تؤدي إلى الوحدة في أوقات كثيرة، ولأن الشخص الوحيد لا يبالي بكثرة أعداد من حوله فهذا يولد لديه نوع من الاستقلالية ؛ لأنه يبحث دائما عن حل ثقافي لكل شيء في هذا الوجود عن طريق عقله وفكره ولوحده، بعيدا عن تأثيرات الآخرين ؛ لذلك الشخص المثقف شخص عصامي استقلالي، ولكونه استقلالي في آرائه وتوجهاته -لأنه هو الوحيد الذي يدركها وبقناعة تامة من داخله -تجده إنسانا يسهل عليه التمرد، لكونه قد تعود الوحدة والاستقلالية، فهو آخر إنسان على وجه البسيطة يكترث بأضرار التمرد أو ما قد يسببه له من آثار بعيدة أو قريبة الأمد، ولكوني شخص يعرف كل هذا، فطبيعي أن أكون قد جربت كليهما : الاستقلالية والتمرد، وأؤمن

دائما أن اللذة غير منقطعة النظير إنما يولدها الأساس لها وهو التمرد، التمرد على كل سلطة في هذا المجتمع، إلا سلطة واحدة فقط هي سلطة الدين ؛ لأن التمرد على الدين عصيان وجحود وخروج من دائرة الثقافة والوعي التي ينبغي على الإنسان عندما يخوضها أن يعرف إلى أي نتيجة ستوصله،التمرد على الدين ضياع وتيه وانتحار بطيء، وهو تجرد تام من كل الأخلاقيات والمبادئ التى أقرها الله تعالى، فالتمرد لا يكون تمردا إلا إذا كان بأخلاق؛ والتمرد على الدين تمرد على الأخلاق ،فهو وإن كان تمردا فهو ليس ذاك التمرد الذي نعنيه والذي يخص المثقفين .لا بد حين نتكلم عن التمرد على الدين أن نخص بالذكر التمرد على رجالات الدين، أي أهل العلم والإفتاء، والكلام في هذا سهل وملخصه أنك إذا كنت في مقامهم فأفعل ما يحلو لك، وإن لم تكن فدع التمرد جانبا وقل سمعنا وأطعنا.

كفى بالنوم انتحارا

لا أدري لماذا يفكر المكتئبون بالانتحار ويحاولون جاهدين في كل مره، وأنا أنتحر في كل يوم لمدة تزيد وتقل تبعا لحالة اكتئابي وشدتها، أحمد الله تعالى دائما أن خلق النوم لنا، فهي للعباد راحة وسكينة، ولي أنا انتحار يومي أهرب به من مسؤوليات الحياة ومتطلباتها. فقط خذها نصيحة مني أيها المكتئب، إن شئت أن تجرب الانتحار فأشرب حبوبا منومة ونم في سبات عميق، وإذا صحوت ولم تتغير نفسيتك عد للنوم من جديد إلى أن يفتحها الله لك، ويغادرك الاكتئاب مستسلما، وإذا لم يشأ مغادرتك، أبقى طوال اليوم في سريرك، لا بأس عليك، فقط تذكر أن تتغطى جيدا !!

رسالة مشفرة

حل(ر)دن - ك(ن) -ز(ظ)بغنب- ليل(ب) -سطزة(ى)- تاتكم- تا(د)تحاب يدم(ت) - غب -تاكمظ(ل) - اك(د)ة - ت(لا)له -يمزت(ت)

خلطة سحرية

طالما أني جربت الاكتئاب، وجربت إحساس أن تكون في قمة حزنك وألمك بسبب هذا الاكتئاب، فإني جربت خلطات سحرية كثيرة، كلها لم تكن بمفعول خلطة « التغير» السحرية، المكتئبون هم أكثر الناس حساسية للأعمال الروتينية التي لا تتطلب مجهودا أبدا غير المجهود البدني البسيط الذي سبق أن تعود عليه بدنك، لذلك تجد أن معظم الدراسات العلمية تربط الاكتئاب الهوسي بالذكاء، بل أن معظم مشاهير ونجوم العالم سواء كانوا في الفن أو الفكر، معظمهم عانوا من الاكتئاب بشتى درجاته وأصنافه ؛ لذلك عندما أجدني وسط معمعة الاكتئاب ألجأ فورا إلى التغيير، تغيير المكان، تغير الملبس، تغير مكان العمل، تغير طريقة العيش، تغيير أسلوب الحياة، وأحيانا في الحاجات القصوى يصل الأمر إلى تغيير الهدف ومشروع الحياة، ذلك كله لخلق بيئة تحدي جديدة تضمن لك طريقة أخرى للاستكشاف وتنسيك اكتئابك.

أمنية

أنا أؤمن ان الأمنية هي أقصى ما تتخيله بإمكانه أن يجعلك تعيش لحظتك في قمة السعادة، كنت سأعنون الموضوع ب «ماذا تتمنى في آخر يوم من حياتك؟»، لكن وجدته عنوانا يبعث على الرعب والخوف ويجعلك تتذكر أمورا أخرى تزيد من اكتئابك مثل الموت والحشر والحساب والنار بجانب أهوال يوم القيامة كلها، لا أدري عن الناس الباقين ولكن هذا هو شعوري وتخيلي لو طرح مثل هذا السؤال علي، عموما دعونا ننسى موضوع السؤال هذا قليلا ونركز على موضوع اللحظة وهو «الأمنية»، في هذه اللحظة لا شيء يجعلني في قمة السعادة غير أن أشارك عبقري مشروع هندسي ونقوم بحل مسألة هندسية عويصة، ويا حبذا لو كانت مسألة فكرية حسابية، ونسهر طوال الليل على فك شفراتها وحل طلاسمها، على أن يكون مكان الاجتماع منتجع على شاطئ أجمل بحار العالم، يا لها من أمنية ويا ليتها تكون غير مستحيلة، ولعلي رغبة في التحدي لذلك أحبها.

زهد أم استهتار!

عندما يطغى الاكتئاب على عقلي ويصبح فكري حبيسه، أشعر أني لا أملك رغبة في شيء، بل أفقد الرغبة في كل شيء، أصبح إنسانة لا تبالي هل تأكل أشهى المأكولات، أم اكتفى بالتمر طيلة اليوم، غالب الوقت لا أبالي بما يقدم على مائدة الطعام، ولا أذهب لأعد ما لذ وطاب ومعظم الوقت لا يعرف بطني غير الماء والتمر ومستعدة أن أعيش هكذا بقية عمري. عندما اكتئب لا أبالي بما ألبس في البيت، أهي أجود الملابس أم أردءها، أهي ملابس حقا أم مجرد أقمشة تستر بدني ولو كانت قطعا بيضاء كتلك القطع التي يلبسها المعتمر والحاج، عندما اكتئب لا أبالي أكان الناس يحبوني أم يكرهوني، أشعر أني لست بحاجة لحبهم أصلا، ولست بحاجة لوجودي جانبهم ولا وجودهم بجانبي، أنا التي أقضي جل وقتي في القراءة والتصفح والكتابة، عندما اكتئب لا أبالي أصبحا كان أم مساء، صيفا أم شتاء، سلما أم حربا، صحة أم مرضا، لا أبالي حتى إن أخطأت أم أصبت، حينما اكتئب لا أبالي حتى بالمبالاة، عندما اكتئب أكون مستعدة لتعلم مئة قانون بشري، وأخترقهم في نفس الوقت، عندما اكتئب أكون مستعدة لأتمرد على كل كائن بشري

على وجه الأرض، عندما اكتئب أصبح وحشا تائها لا يبالي إن أفترس أي طريدة، عندما اكتئب لا أبالي أن أعصي أوامر أي مخلوق كان، عندما اكتئب أكون مستعدة لأتعلم كيف أدخل مئة علاقة عاطفية وأخونها في كل لحظة عشرات المرات، عندما اكتئب لا أبالي أأقذف النار أم الثلج في وجه من يحد من مسيرتي، ويعرقل تقدمي، عندما اكتئب لا أبالي أما أقوله صدق أم كذب وتلفيق، المهم أن أتكلم ولا أسكت، عندما اكتئب لا أبالي أأنا مهرج أم عالم عبقري فذ، عندما اكتئب لا أطمح غير أن أعيش لحظتي لك بأقصى حد من السعادة المستحيلة في تلك اللحظة، عندما اكتئب لا أبالي إلا بالنصر على الاكتئاب بأي وسيلة كانت من وسائل العالم، المهم أن أصل للنتيجة، عندما اكتئب ألعن الاكتئاب ألف مليون بليون ترليون مرة، ويا ليت لعنة واحدة تتحقق!

كان يا مكان

كان يا مكان في حديث الزمان، كان هناك فتاة فقيرة حالتها المادية لا تساعدها كثيرا على جمع الأصدقاء والأحباب من حولها، في زمن أصبحت المادة هي من تشتري البشر بدل أن يشتري البشر المادة، وكانت فتاتنا الفقيرة -من سوء حظها - أنها تعيش في حي فقير ماديا وعلما وثقافة، وكل من حولها لا يجيد شيء غير النوم وملء البطون، وكانت فتاتنا المسكينة تعشق العلم ومتابعة آخر تطوراته وتتابع الثقافة بكل جديدها، شعرت فتاتنا المثقفة بالوحدة والضجر من حولها، وحاولت أن تجذب أناس مثقفة من بيئات مختلفة تختلف كثيرا عن بيئتها، لكن كلما دخلت في علاقة مع أحد المثقفين أخذ الطرف الآخر باستغلال فقرها وقلة حيلتها وقام يطلب منها شيئا فشيء أن تتنازل عن مبادئها، لكنها كنات في كل مرة ترفض الانصياع لطلبهم، حتى جاء اليوم الذي وجدت نفسها فيه وقد خسرت كل من حولها مثقفين وغير مثقفين، خنقتها الوحدة وعذبها الملل فأصبحت شخصا حبيس مبادئه وجليس أفكاره، فأخذت تتقاذفها الهلوسات وتنحت في عقلها وتوهن بدنها وجسدها إلى أن قررت يوما من الأيام أن تبيع كل تلك الهلوسات والأفكار

والمبادئ وتكسب ألف مليون صديقا مثقفا، فكان لها في النهاية، ولكن بعد أن خسرت أعظم شيء تملكه وهو «نفسها».

نصيحة : «لا تتنازل عن مبادئك من أجل صديق، فلا خير في صديق كان ثمنه مبدأ، فالمبادئ تشتري بالأصدقاء، لا الأصدقاء من يشتروا بالمبادئ»

فضفضة ووردة

إلى ذلك الحزين ..الطبيب النفسي..الأديب الأريب النجيب..الروائي العبقري..إليك وردة بيضاء نقية كنقاء روحك ..وجميلة كجمال كلماتك..إليك وردة أقطفها من بستان روحي.. فأزرعهابقلبك..لعلها تنمو وتكبر..لتحدثك لاحقا كم يذكرك قلبي.. لدفء كلماتك..لا أزال أذكر ردة فعلك حين شكوت لك بأن البعض ممن حولي يعتبروني «عالة على المجتمع»، وبعضم يعتبرني «مجنونة»، وبعضهم يرغب في رميي في مستشفى ابن سينا ..وأنت في مقابل كل هذا تقول لي : «كلا وحاشا، أنتم درع الوطن» .. «أنتم الواجهة الإنسانية لهذه الأرض»..لا أدري ما أقول أكثر..فقط كن بخير ولا تحزن..أعدك ستكون أول من يحمل نسخة موقعه من كتابي هذا ووردة.

إلى [6،12،28،16][1،23،18،2،10،28]

لماذا كتبت كتابي؟

قلمي قيثارتي، وكلامي عزفي، وفكري أنغامي، كتبت لأسلي وحدتي في غيابة الجب ، كتبت لأجذب المارة أمثالي، من يشبهني، أعقل المجانين وأجن العاقلين، كتبت لأثبت للعالم أني لست مهرجا، وأني أتحدث بحديث أكبر من سني، وأني شاعر بلا شعر، شاعر بإحساسي، وروائي بلغتي، أني أكبر من كوني إنسانا عاديا، اني أقرب إلى أن أكون مفكرا، كتبت لأبرهن للعالم أني استحق أن اسمع، كتبت لأبرهن للعالم أني لا أبالي إذا لم أسمع، كتبت لأبرهن أن فكري أعلى من صوتي وعقلي أكبر من جسمي، كتبت لأتحدى من تحداني،كتبت لأصرخ في وجه الألم، كتبت لأتمرد على الاكتئاب، كتبت لأجهر بهلوساتي؛ لأنها أعمق من أن تخفى، كتبت لأراقص حروفي على سيمفونية المجد والعظمة اللتان أطمح أن أبلغهم يوما بفضل قلمي، كتبت لأبهر من يحبني، وليحبني من أبهرني، كتبت لأن الكتابة فن ولأني فنان، كتبت لأني أجدت، كتبت لأنه حان الوقت أن أكتب، كتبت لأن القدر أهداني قلما فاخرا لا يخط غير كلماتي، كتبت لأقنع الجميع أني فريدة، كتبت لأغسل جروحي بدموع فرح كتابة هذا الكتاب، كتبت لاستمتع وابتهج، كتبت لأني تعلمت

الحب ووجدت أنه لا شيء أجدر به من الكتابة، أحببت عيش تجربة الكتابة، وعسى أن يحب قلمي ولو فكر واحد يكفيني.

الموسيقى

الموسيقى في نظري هي أداة للعزف على أوتار الإحساس، وهي تخاطب إحساس المرء أكثر من فكره، وتهيج كيانه وتلهب إحساسه ومشاعره، ولها في نظري علاقة وثيقة بالاكتئاب أكثر من الهوس ؛ لأن الهوس ولحظات الجنون يغلب عليها التفكير العقلي والعمل الذهني وتكون غالبا بعيدة عن سيطرة الإحساس والمشاعر، لذلك عندما تثبت الدراسات العلمية أن الموسيقى تعالج المرضى النفسيين، فهي لأنها تلعب على أوتار مشاعرهم وتلهب أحاسيسهم وتنعش آلامهم وجراحهم، أما الأشخاص الذين يغلب عليهم الهوس الفكري والتخيلات العقلية والتحاليل الذهنية والاستنتاجات فهم أناس يغطي جانب العقل على أغلب مساحات الإحساس لديهم، وتكون الموسيقى هي آخر اهتماماتهم أو في القوائم الأخيرة لديهم ؛ لأنهم لا يجدون لذة في الاستماع لها وحتى لو وجدوها لن يشعروا بها، هذا رأي وتحليل شخصي، لأني جربت هذا وتعايشت معه، وأحسست الذي احتاجه في وقت اكتئابي أو هوسي، ولربما هذا هو سبب فكري وراء تحريم الإسلام للموسيقى، وسبب يعلل الجدلية الحاصلة في فعالية الموسيقى كعلاج للمرضى النفسيين، لا

أدري عن الحقيقة المطلقة، ولكن هذا ما ألاحظه على الجميع هنا، فهم يستمعون الموسيقى وقت شرودهم ووقت الفراغ الذهني لديهم وأوقات ضجرهم وضيقهم، وأغلب من أصادف ممن يفكر في موضوع جدي أو مصيبة ما، فإنهم يتضايقون لمجرد سماع أصوات العزف والغناء، لأنها تشوش على العملية العقلية لديهم، فلا يعقل أن تسيطر على إنسان ما في نفس الوقت حالتان وجوديتان هم الإحساس والتعقل.

هذيان ليلي

عندما يرفض أن يزورك النوم بالليل، فقط أمسك قلمك وداعب ورقتك بهذيان فريد من نوعه.الناس نيام الآن، وأنا أفكر في مسألة غريبة جدا، وهي أيهما أقوى الحزن أم السعادة، يقول شكسبير أن الألم يولد العبقرية، يعني توجد علاقة وثيقة بين الألم والعبقرية على حسب قوله، وكما هو واضح للعامة من الأحياء البشرية أن الألم هو سر من أسرار الحزن وهو أحد أكبر مسبباته.إذا الألم يولد الحزن أيضا، وطالما أن الألم والعبقرية يرتبطان بعلاقة شكسبيرية فإن الحزن يرتبط بالعبقرية بنفس العلاقة، ولو رجعنا لفرضية دارون التي تقول أن البقاء للأقوى،فإنه بإمكاننا أن نفرض أن العبقرية هي أقوى درجات الذكاء، باعتبار أن الذكاء يكون بنسب متفاوتة بين البشر، واستنادا عل مقولة شكسبير، ورجوعا في نفس الوقت إلى فرضية دارون بإمكاننا أن نختم هذا اللغز بفرضية أن الحزن هو أقوى من السعادة، هل هذا يا ترى يعلل سبب ازدياد حالتي البؤس والشقاء في البشرية، لنرجع لمقولة الدين في هذا،الدين يقول بنص القرآن الكريم: «وما أكثرهم ولو حرصت بمؤمنين»، وسابقا قلنا أن الإسلام دين الحق والعدل والخير، والسعادة هي نتاج هذا كله، وطالما أن

أكثر الناس ليسوا على دين الحق والخير، هذا يعني أن أكثرهم ليسوا سعداء، وهذه نتيجة مشابهة للنتيجة السابقة التي تدل أن الحزن أقوى من السعادة، هل هذا يعني أن مستقبل البشرية فيضانات من الدموع، لا داع للقلق على قلة المياه بعد الآن، ربما أقول ربما!

كتبته الساعة 2:00 صباحا،
من فجر يوم الخميس الموافق 2015\12\31

ملاحظة: التحليل السابق مبني على المقولات فقط، وليس بالضرورة أن هذا ما أؤمن به.

بداية سنة جديدة

بعد سويعات قليلة سنغادر معطف 2015 الدافئ، صامتين والناس نيام، ونرتدي معطف جديد لعام جديد هو عام 2016، وكل ما أعرفه في هذه اللحظة عن العام الجديد هو أني لا أعرف عنه شيئا، فقط كل ما أتمناه هو أن لا تمر سنة 2016 إلا وقد اعتقت وعادت لي حريتي من جديد، وبنيت سراديبي الخاصة في مملكتي الفريدة ولن يكون لي هذا في خضم الجحيم الذي أعيشه الآن، كل ما أتمناه أن لا أنهض من سريري إلا وقد أهداني الزمن فارس أحلام ينقذني من هذا السجن المشؤوم، كم اتمنى أن استفيق وبجانبي هدية من نوع خاص، هدية حريتي, وقلبها سعادتي، لا أعرف كيف أنقضى عام 2015، ولا أذكر عنه شيئا سوى الانتظار، انتظار الحرية، انتظار العتق، انتظار فارس الأحلام، انتظار ضوء المستقبل لينير لي العتمة، انتظار أن تكسر قضبان هذا السجن وأعود لأحلق من جديد، عسى أن لا تمضي السنة الجديدة إلا وكل أحلامي تحققت، فقط هذا كل ما أتمناه، ليت لي سانتا كلوز خاص بي أنا فقط!

العلم والقرآن

سؤال طالما أرقني وشغل بالي وفكري، ورغم أني أعرف جزءا من الإجابة، فإني في بحث مستمر عن بقية الأجزاء، وطالما أني بدأت في طرح السؤال فإني متيقنة بأني سأصل للنهاية، وسؤالي يدور حول العلم والقرآن، العلاقة الجديلة بينهما، هل العلم يفسر القرآن أم أن القرآن يفسر العلم، بداية لابد أن نوقن أن العلم البشري هو من وضع البشر، والقرآن هو علم من نوع خاص وهو من وضع الله تعالى، العلم البشري له قواعد خاصة لا يمكن أن تنتهك، وإن انتهكها البعض فهي حالات شاذة شخصية لا يمكن تعميمها على باق الناس، وليس بإمكان أحد إجبارهم على اعتناقها، العلم البشري لا يكون علما حتى يثبت بالتجربة، والعلم القرآني هو علم الله تعالى ولا يمكن أن يخضع للتجربة، في أغلب حالاته إلا في الحالات المتعلقة بالشرع الحياتي مثل الربا، الزنا، الخمر وهلم جرا، هناك أمور كثيرة في القرآن لا يمكن أن تخضع للتجربة، لذلك لا يمكن الاستفادة منها في تفسير العلم، حتى وإن كانت تفسر قليلا منه، فإنه غير معترف بها عند الجميع لكونها غير قابلة للتجربة، كما أن الله عندما أنزل القرآن لم ينزله كتاب علمي بل أنزله كتاب شرع

وقصص وأخبار وموعظة وعبرة، إذا لا يمكن أن نستخدم القرآن في تفسير العلم، ولكن يمكن أن نستخدم العلم في فهم القرآن وتفسيره، لأن العلم البشري هو جزء من علم الله، والله لم يخلق شيئا في الكون بدون قدر أو هكذا عبثا، بل كل العلم البشري يمكن إثباته بالتجربة والدليل والبرهان ؛ لذلك يمكن أن نستخدم العلم في تفسير القرآن فهو أحد الوسائل الموصلة للحقائق، والقرآن كتاب غني بالحقائق التي تنتظر الوقت ليرفع عنها الستار، سواء بأدوات العلم أم أدوات أخرى من أدوات اللغة من نحو وبلاغة وبيان، فالقرآن ليس كتاب تعلم النحو، بل بالنحو يكشف معاني القرآن، وهذا ينطبق على العلم أيضا، فالقرآن لم يأت كتاب علمي حتى يكشف عن الإعجاز العلمي فيه، بل جاء كتابا بالعلم يكشف معانيه، لذلك القرآن وحده لا يستطيع أن يبرهن على أي قاعدة علمية كونية دون أن تثبتها التجارب ويؤيدها العلماء بالحجة والمنطق، بل لا بد أن يتوصل العلم أولا بطرقه الخاصة، ثم بالعلم يتبين معاني القرآن ومقاصده، ولعل هذا الكلام إجابة على سؤال طالما طرح وهو أين كان القرآنيون قبل أن توضع النظريات العلمية طالما أن القرآن تحدث عنها وسبقهم بها، مثل كروية الأرض ودورانها وغيرها من القضايا العلمية الأخرى، نقول في ختام هذا البيان أن العلم يفسر القرآن، لا القرآن من يفسر العلم وكفى !

من أنا؟

يا إلهي دائما يباغتني هذا السؤال، ويهجم علي في لحظة سكون، يشعرني بالتيه والخوف، أنا أكتب الآن وقد سيطر علي هذا السؤال واستولى على كامل كياني، يحشرني في مساحة ضيقة أكاد أختنق بسببها، يذكرني بإبتعادي عن العمل ثلاث سنوات، يذكرني بأن حلمي كل يوم يزداد مني بعدا، يا إلهي..مع بداية سنة جديدة، وأنا أشعر بأني لا شيء، أحيانا كثيرة عندما يتسلل هذا السؤال خلسة إلى سراديب ذاكرتي ويقتحم مخازن ذكرياتي، ينبش كل أخطائي ويجردني من كل حسناتي، يجعلني أبدو كشبح يهيم وسط الفيافي والشمس الحارقة التي تتوسط السماء، يجعلني هذ السؤال أتخيل قرب نهايتي، وكأني أعيش لأموت أو أنتظر لحظة خروج روحي، لا يوجد شيء أنتظره في غيابة الجب هذه، وقسوة السجانين، وضنك المعيشة، المعيشة التي تسلبني حريتي، وتخنق أنفاسي، أشعر طيلة ثلاث سنوات أني نسيت مستقبلي في الهندسة، أنا كائن مشلول لا شيء في الحياة، نكرة مجهول لا أحد يكترث لوجودي، لا أدري أهذا كله تأثير السؤال علي أم أنه بداية لهجمات اكتئاب ونوبات ضيق ستحل هذه الليلة، لا أدري لماذا لا أرى أي فرصة أمامي، وكأن بلادي خلقت لتخلق

الفرص منا لا لتمنحها، أتوق الآن أن أجد شخصا أتحدث معه، أفضي له بكل ما يختلجني، أسأله أحقا أنا نكرة، أحقا كل ما حولي سواد، أم أن نظرتي أصبحت سوداء بسبب ظلمة السجن وقسوته ، يا ترى أين سيقذفني القدر؟ لماذا لا يوجد في حياتي شيء أعيش من أجله؟ لماذا كل هذا الاضطراب في داخلي؟ يا ترى ماذا يريد الله منا وأنا لا أقوى على عبادته؟ لما ذا أشعر بأنه لا يحبني؟ يا إلهي..ما هذه المتاهة، ألا يوجد طريق بسيط للخروج منها؟ يا إلهي..أرغب في أن أسأل الله سؤالا واحدا ليته يجيبني، أيجوز لعن الاكتئاب، هل الاكتئاب ملعون حقا؟ أترى الشيطان الذي يبعدني عن ذكر الله ويصدني عنه ويوهن قواي؟ إذا لم يكن هو لماذا يتبرع الاكتئاب هكذا بسهولة ويقوم بعمل الشيطان، لا أدري من أتحدى، هل أتحدى الاكتئاب الذي أعطاني إياه الله وجعلني بعيدة عن ذكره وجعلني اكره قراءة القرآن، أم أتحدى الشيطان الذي لا أدري من هو وماذا فعل حتى أتحداه، أشعر أحيانا أن الشيطان مظلوم، مسكين أنت أيها الشيطان، هل أصادق الشيطان ليعلمني كيف يكون الخبث، ربما سأنتصر على الاكتئاب يوما بمساعدته، ربما ما أدراكم؟ إذا ليكن الشيطان صديقي وتبا للاكتئاب.

كتبته في ليلة أرق فيها الضيق مضجعي

الثــأر

لي قصة طويلة غريبة مع الثأر، فأنا بطبعي لا أنسى من يسيء إلي، بل أظل أذكره إلى أقصى حدود نسياني، الثأر مصطلح غريب لا يغزو فكري إلا في أوقات اكتئابي، ويتحين مواعيد خلوتي مع نفسي، ويحب أوقات وحدتي ؛ لأنه يدرك أني لن أجد مفرا منه إلا إليه، وأني مع اكتئابي يستحوذ الشيطان علي فأصبح وحشا ضاريا يسهل ترويضه، في وحدتي وحينما يباغتني شعور الثأر وأتذكر من أساء لي أشعر برغبة عارمة في أن أمسك سكينا وأمزق كل شراييهم، وحينما ينفد دمهم أتلذذ بصراخهم وهم يستغيثون، وأنا أهمس لهم برقة متوحشة، ماذا فعلت لتفعلوا معي كل هذا، إلا أن كل هذا الشعور والرغبة الملحة في تفريغ شحنات الغضب في أجساد من ظلموني، كلها تذهب في مهب الريح لمجرد مواجهة لي أولى مع الانسانية، مع كيان الشخص وذاته ؛ لأني ببساطة أرى الله فيهم، وجاحد من يرى الله ويتعدى حرماته، لذلك أنا متناقضة !!

ربما يوما من الأيام سأبتكر وسيلة أخرى من وسائل الثأر والانتقام، وهي التعدي على مقتنيات الشخص أو أغلى ما يملكه من الجمادات الغير ناطقة، ولكني لا أشعر بلذة الثأر،

وأشعر أني أتعدى على كائنات لا ذنب لها ولا دخل في القضية، إذا سأكتفي بالحلم، والدعاء أيضا، ربما سيكون الدعاء كفيل بتحقيق عدالة سماوية بيد قاهر جبار يقدر على ما لا نقدر عليه، ربما أقول ربما.

الحلم

لبثت خمس سنوات في الجامعة، وأكثر من تلك السنوات في المدرسة، ونادرا ما أحلم بحلم ما في نومي غير الأسنان المتساقطة، وكثيرا ما تمر الأيام والشهور ولا أذكر أني أرى في فراشي شيئا غير هذا أو السواد، إلى أن جاء مرضي المشؤوم، وتغير كل شيء، رغم أن أحلام يقظتي وطموحاتي بدأت تنهار إلا أن الدهر عوضني بحلم من نوع آخر، أحلام منامي التي لا تتوقف أبدا من لحظة إلقائي لرأسي في المخدة، إلى آخر لحظة أغادر فيها سريري، وبعض أثار النوم لا تزال تغطي بعض أجزاء دماغي وخلاياه الرمادية وتمنعها من الاندماج في الواقع، الواقع المر الذي يكاد يخلو من الأحلام، أنا أعلل كثرة أحلامي بالعقاقير التي أتناولها، أما أبي فله تعليل آخر، فهو يعللها بالمس من قبل الجآن والسحر ومثل هذه الأمور، حقيقة لا أدري أيهما أقرب للصواب ؛ ربما لأني لا أكترث بحقيقة هذه الأحلام، فلو كنت أكترث لوجدت الإجابة حقا، ربما يجب أن أسأل دكتورا عن هذا الأمر، لعله يقلل من تأنيب الضمير الذي يباغتني حين أتذكر جهلي لهذا الموضوع، أشعر أحيانا أن معرفتي لن تجدي نفعا، فأنا لا أحب أن أعرف شيء لا يفيدني بشيئا، فما الفائدة من معرفتي للإجابة

أصلا، في كلتي الحالتين لن أملك خيار تغير شيء، الواقع الآن صعب تغيره ؛ لأنه عصي على التغير، مفتاح كل هذه الحيرة هو الحرية، وأنا لا أملكها الآن، بل أكاد أنسى معناها، لا بأس يا أصحاب لا تتزعجوا لأجلي كثيرا، فالحياة بها متسع للسعادة للجميع، ربما سأنال قليلا منها لاحقا إذا لم يكن الآن، بمساعدة القدر ربما، عاجلا بإذن القدر وليس آجلا، ربما... أقول ربما!

*ملاحظة : تم سؤال الدكتور فعلا عن احتمالية أن تكون العقاقير هي سبب تزايد الأحلام لدي، فكانت إجابته أنه نادرا ما تسبب العقاقير هذا، وتبقى الإجابة أسيرة القدر.

مقارنة

الحياة تضج بالجمال والعلم والمعرفة، وكلا ذلك قوامه الإنسان، الذي لولاه لما وصل الكون إل هذا المستوى من الحياة، الإنسان كائن يجعل الأرض تنبض بالحيوية، والبحار تهدر بأصوات عذبة، ويجعل السماء تعصف برياح عاتية، الإنسان يجعل الكون عامرا بالأضواء والأنوار، وعندما ترى كل هذا الجمال الذي خلقه الإنسان في هذا الأرض، تتساءل دائما أين حظك من هذا كله، تفكر دائما وأنت ترى ملايين هذا الكون الحية والغير حية، أين رقمك منهم كلهم، وكل هذه الأسئلة تولد ليدك وخز الضمير وتأنيبه، لتعجل المشوار وتحث المسير، لعلك يوما من الأيام ستصل للقمة التي لا يصلها إلا القليلون، وتجاوز بعظمتك طموحات وإنجازات العظماء الذي خلدوا بأعمالهم التي حفروها في أعماق القلوب لتشهد لهم البشرية جمعاء بالإنجاز، كل هذا يجعلك في وضع مضطرب، متأرجح بين الطموح والركون، بين الألم والراحة، ورغم كل ما أوتيت من قوة وطاقة، ترى الكل يقف أمامك كالحواجز التي تحد مسيرك، فلا أنت ترغب في التراجع ولا القدير يرأف بك ويسمح لك بالتقدم، وطول فترة الصراع الكوني هذا، يتولد لديك وبداخلك صراع

نفسي يستمد طاقته وجبروته من نقاط ضعفك ويدفعك إلى أن تقارن بين كل تلك الأحياء، لتجد نفسك يوما من الأيام وفي عنفوان نشاطك، أنك لست صفرا، لكن عدا يقترب منه .وأنا أجلس هكذا أمام الساعة المعلقة بالحائط، أختلس النظرة هنيهة وأنظر لجسدي كله لأسأله ماذا قدمت إلى الآن، وفي كل مره يجيب ويرد علي : «لا شيء غير امتحانات ورقية حددت نهايتي وبدايتي ومسير حياتي»، كل هذا يثير في نفسي رغبة الإنجاز، ولكن بدون خطوات للكيفية والماهية، وتبقى الأوهام سيدة كل هذا.

الخيال

هو الأسلوب الوحيد والطريقة المثلى للعيش حياة أخرى غير التي تعيشها، هو طريقة جيدة للهرب من الآلام المتعلقة بالحياة وصعوبتها، هو السرداب الوحيد الذي تملكه وتختبئ فيه حين يداهمك الملل والضجر بكافة وسائله وألاعيبه، هو اللعبة الوحيدة التي تجيدها في غيابة الجب، هو الحرية التي أملكها والحيوات التي أعيشها، هو الامتداد الأزلي لليوم الواحد في عوالم النفس، يجعل ساعاته لا تنتهي وثوانيه غير معدودة، الخيال هو الحلم الذي أعيشه في يقظتي، هو الوحيد الذي بيده تغير ملامح وجهي فجأة من الحزن للسعادة ومن الكآبة للفرح، هو الصورة الوحيدة التي تظهرني بأكثر الأوجه ذكاء ويقظة ؛ لأن الخيال لا ينسج إلا بمعونة النباهة، ولا يبنى إلا بمعية الفطنة، هو المشهد الوحيد الذي يموت فيه الغباء، ويكون العالم فيه مثالي وفاضل ولا وجود للخبثاء فيه، هو المرآة الوحيدة التي تجعل عيوبي حسنات وأخطائي طموحات وفشلي نجاح، هو كل حياتي حين لا أشعر بالحياة من حولي.

عندما مرضت أخذني والدي إلى معالجين كثر، معالجين تقليديين، أي الذين يؤمنون أن هذه الأمراض العصبية إنما هي

نتاج قوى روحية، مثل القوى الشيطانية أو تلبس الجان...الخ، كانوا يطلبوني من أبي أن يضع يده على جبيني ويقرأ علي ما تيسر من الذكر الحكيم، وكنت دائما أسأل نفسي، لماذا يضع والدي أصبعه الإبهام على جبيني ويقرأ لي؟، كنت في حالة هلوسة شديدة جدا، وكنت أربطه دائما بتفاسير علم النفس التي تقول أن الجبهة -أي مقدمة الرأس- هي مكان الخيال من الدماغ، حللت الموضوع ألف تحليل وربطته ألف ربط وفي كل مره يقذفني التحليل و أنتهي من هلوساتي وأوهامي وأنا أردد قول الله تعالى : «وخيل إليه من سحرهم أنها تسعى».

الرجل*

أتوقع أن الرجال كائنات ملعونة، ربما خرجت من الجحيم، وسكنت الجنة، لذلك هي تجيد الخبث دائما، ربما لاقت الشياطين، وكونت معها صداقات حميمة، وعندما يقال أن إبليس أغواهم للأكل من الشجرة، فلم يكن إبليس موجودا ككائن مستقل، بل كان موجودا في رأس الرجل ؛ لأن الشيطان علم الرجل كل أساليبه وطرقه في الدمار والفساد ؛ لذلك قيل أغرى الشيطان آدم وحواء، وهو حقيقة لم يغريهم بل أغرى آدم حواء، أعوذ بالله من هذا التفسير الخطير والانتهاك في حق آدم عليه السلام، لو لم يكن آدم وكان رجلا غيره لما ارتبت ولقلت واثقة 100%.

الرجال كائنات بلا ضمير، وما لا تعرفوه أنها كائنات تثرثر أكثر من المرأة، لكن كون أن ثرثرتها في الخفاء والظلام فهي غير ظاهرة بل سرية، في حين أن المرأة ثرثرتها في الضوء وأمام الملأ، ربما هذه أحد أسرار الرجل التي لا ينبغي التعرف عليها ولا المساس بقداستها، وما لا تعرفوه أيضا أن الرجل يعاني من أربع عاهات مزمنة، ولا تظهر هذه العاهات جلية إلا بمرور الوقت وتقدمه في السن، فهو إنسان غدار وخوان، فالزوجة

الأولى تعلمه معنى الوفاء والأمانة، وهو إنسان وقح بلا إحساس لذلك لا يبكي حتى يتزوج الزوجة الثانية فهي تعلمه الإحساس والبكاء بضمير، وهو إنسان مستهتر غير ملتزم لذلك تعلمه الزوجة الثالثة معنى المسؤولية والالتزام، وكونه إنسان جاهل لا يعرف شيء في الحياة غير بطنه، تأتي الزوجة الرابعة لتعلمه الحياة جيدا، وكل هذه العاهات موجودة في كل رجال العالم ومصدرها الشيطان الذي نزل من الجحيم وحل فوق رؤوسهم ونسى أن يغادرها، ولا يزال الجحيم إلى الآن يلاحقهم في منامهم فيقال أنهم لا يرون إلا مقاعدهم في النار، ولكنهم يخفون هذا طبعا، وخاصة عنا نحن النساء، ألا سحقا لهم!

*هلوسة قاسية شيطانية كتبتها في عنفوان غضب ووهم.

الاحترام

الشيآن الأساسيان اللذان أنشدهما في كل علاقة رسمية وغير رسمة هما الاحترام والمعرفة، فإذا كان الشخص المتعامل معه يفتقد إلى الاحترام فهذا شخص منافق، وإذا كان يفتقد إلى المعرفة فالعلاقة معه مملة، وكلا الأمرين مزعج النفاق والملل، وقمة الكمال أن يكون الشخص الذي أتعامل معه يتوفر فيه هاتين الميزتين الاحترام والمعرفة . يقال أن الاحترام حق بشري من الحقوق البديهية المسلم بها والمتعارف عليها، فليس من المنطق ان يقبل الإنسان أن يعيش في بيئة يعامل فيه كالبهيمة، هذا القانون أو المبدأ يسري فقط في عالم الأحرار، أما عالم العبيد والمتوفر بكثرة -والحمد لله أني لا أعرفه- فالوضع مختلف، وطالما أن الاحترام من الحقوق فهو يؤخذ ولا يعطى، هذا ما تنص عليه جميع الفلسفات العالمية، أما فلسفتي الخاصة أن الحق لا بد حتى يؤخذ أن يكون الطرف المقابل مهيأ للعطاء، أما إذا كان خلاف ذلك فإن أخذ الحق يبقى ضربا من الأحلام.

متى أتألم؟

أنا لا أتألم للألم الجسدي، فقط ضربت في أحد الليالي بأربع عصي من الحجم الغليظ، ولدي إلى الآن صورة لجسدي والكدمات منتشرة بصورة فظيعة، رغم ذلك كله لم تنزل مني دمعة واحدة، بل في نهاية المطاف جلست مع نفسي أحدثها وابتسم، وأتذكر حديثي مع ذلك الأمريكي،كل هذا لا يؤثر في مجسات الألم لدي، ما يؤلمني حقا هو أن أرى من حولي يتألم.

أتألم حين أرى فقيرا يمر بجانبي، رغم ذلك لا يضجر من حاله، بل يبتسم، أتألم حين أرى رجلا من جنسية أخرى يعمل طيلة النهار في حمل الطابوق والحديد والعرق يتصبب منه وعليه ملابس رثة بالية، والآخر في الجهة المقابلة يولد وفي فمه ملعقة من ذهب، هذه المقارنات تؤلمني أكثر، أتألم حين أرى البؤساء في أرض الحرب والبرد القارس ينهش لحومهم التي لا يغطيها غير ملابس بالية رقيقة وهم يبتسمون ولا يتأففون، هذا يؤلمني أكثر. أتألم عندما أرى الجميع يضحكون، وفي النهاية الكل سيموتون، هذا موجع أكثر، يذكرني دائما هذا بقول أبي العلاء المعري مسطرا ما أعنيه بدقه وكأنه يتكلم بلسان حالي فيقول :ضحكنا

وكان الضحك منا سفاهة....وحق لسكان البسيطة أن يبكوا كل هذا يجعلني في حيرة من أمري، الله هو الذي أوجد كل هذه السيناريوهات في الحياة، وخلق كل هذه الفوارق، وكلها يبعث على الألم، لماذا يريدنا الله أن تألم؟ هل عندما نتألم نحقق غاية ما لا ندركها ويدركها هو وحده بعلمه وقدرته؟ أم أن كل هذا يدور حول نقطة واحدة فقط، هو تحقيق لنظرية شكسبير «الألم يولد العبقرية»؟، ربما يريدنا الله أن نصبح ضمن الذين تحدث عنهم في محكم كتابه ووصفهم ب «أولي الألباب»، ربما!! أقول ربما!!

خربشات

من هنا وهناك، مجرد خربشات قلم فضي، أتحدث بها وأحدث بها نفسي فأبى قلمي إلا أن يخطها..

*عندما تفكر تحدث بصوت هادئ، وعندما تحس أبدأ بالصراخ.

*تمرد ولكن بأخلاق.

*لا تجعل الكلمات تخرج منك بسهولة قبل أن تمر بقلبك، تحدث بقلبك.

*الفقر خلق لنعتبر به، والفقراء خلقوا ليعلمونا الجانب المظلم من الحياة.

*التقدير هو كل ما أبحث عنه، ولا أبالي إن لم أجده.

*القراءة تؤلمني، والكتابة تسكن الألم، لذلك هما شقيقتان.

*الوحدة تعذبني، لأنها تفصلني عن العالم الذي يمدني بالأفكار.

*العلم لا صاحب له، العلم لله كله.

*أحترم العدو الذي يقدر قدراتي أكثر من الصديق الذي لا يقدرها.

*أصعب ما في الحياة أن نعيشها.

*لكي تعرف الجبان أسأله كم ساعة تنام؟

أنا لا استحي من مرضي طالما أن الله أهداني إياه.

أنا أعرف ويش أقول لربي؟

قذفني الدهر ذات مرة لأتعرف على شخص غريب الأطوار، ووقح قليلا، أخبرني صراحة أنه تزوج زواج المتعة يوما من الأيام، وطالما أني إباضية تبادر لنفسي أن أسأله عن السبب قبل حكمي عليه، فسألته السؤال المعتاد : «لماذا»؟، قال لي رادا على ذلك: «أنا أعرف ويش أقول لربي»، ومن تلك الأيام وعقلي الباطن يردد هذه العبارة لا تلقائيا وكأنه برمج دماغيا لمجرد تلقيها، أعجبتني حروفها أكثر من إعجابي بالموقف الذي قيلت فيه، فظلت نفسي ترددها تلذذا بها، فكلما تجرأت أن أكذب قلت لهم : «أنا أعرف ويش أقول لربي»، وكلما تجرأت لمشاهدة فلم ممثليه غير محتشمين قلت : «أنا أعرف ويش أقول لربي»، وكلما حاولت أن أعصي أمر والدي قلت لنفسي : «أنا أعرف ويش أقول لربي»، تحولت كل حياتي تلقائيا إلى تنفيذ إلى هذه العبارة وكأن لسان حال جسدي قال فور سماعها سمعنا وأطعنا وسننفذ، المشكلة الآن التي تؤرق ضميري ليست في أني لا أعرف ماذا أقول لربي، المشكلة الكبرى أني لا أعرف ماذا سيقول لي ربي عندما أقول له ما أود قوله، أيقنت بعد هذا كله أنه من الغباء أن تكون واثقا تمام

الثقة وبالك في راحة عمياء وأنت تعرف طرف واحد فقط من الحوار، وللأسف هو الطرف الأوهن حجة وأضعف مبدأ، فيا له من حمق!

لحظة انفصام

أحيانا عندما أخلو مع نفسي قليلا وسط سيل الأفكار، أشعر بلحظة أنفصل فيها عن الواقع، وكأني لا أمت له بصلة، أشعر بشيء غريب يجتاح عقلي ونفسي ويأخذهما بعيدا وكأنه يجذب آخر فكرة ملتصقة بدماغي فيجذب معها خلايا دماغي الرمادية، وكأن هذا الجذب والشد يدخلني في دوامة غريبة من نوعها، وعندما أدرك أن نفسي التي كأني أحملها بيدي بدأت تنفصل عني، أحاول جاهدة أن أعود للواقع ولكن بصعوبة كبيرة جدا، وكأن دوار حادا يجتاح عقلي وأكاد أسقط بسببه. لا أدري إن كنت قد وفقت في وصفي لحالة الانفصام اللحظية التي تباغتني أحيانا بين فترات متقطعة، وتجتاح فكري بسؤال أو سؤالين يعصفان بمخيلتي ويلقيان بها في وادي سحيق لا قعر له، ولا حبل يسعفني فأنجو منه، فيا لها من حاله !

ما أصعب الموقف الذي يجتمع فيه الكل يتحاورون ويدردشون، وأنت غارق في عالم غريب، يجبرك أن تنفصل عن العالم، لا يرغب في تركك فترتاح، ولا يعلل لك سبب وجوده فترحب به باقتناع، صعب ذلك الشعور الذي يجعلك يوميا تصرخ آه دعني، وكأنك في صراع أبدي مع مجهول، فالعدو

المعلوم سهل مباغتته وهزيمته لأنك تعرف نقاط ضعفه، أما العدو المجهول فلا تدري متى يفاجئك وبأي أسلحة يباغتك، لا تدري أتقدم حق الآخرين في حق الإنصات لهم، أم حق نفسك في التخلص منه والانتصار في المعركة، عدوك اللدود يدري أنك لا تستطيع أن تبوح للناس بسر ما يفعله فيك، يدري أنك ستجبن، أما أنا فلا، هو لا يعرف أني صنف من نوع آخر، صنف وإن كانا من السهل مباغتته لطيبته، فإنه صعب منه حتى تنال جزآك ولو بعد حين، فقط صبرا، ألا إن نصر الله قريب.

رسالة مشفرة

1	3	7	5	2	8	4	6
54	10	111	20	01	21022	11	101

عندما يُغلق باب ينفتح آخر، لكننا غالباً ننظر طويلا وبحسرة إلى الباب المغلق حتى أننا لا نرى الأبواب التي تُفتح لنا.

الهندسة

تخليت عن شهادات الامتياز التي حصلت عليها في كلية الطب، والنجاح الذي كنت أحلم به هناك لأنتهي بنجاح مميز من نوع فريد ومغلف بهدية خاصة هي الاكتئاب. عشقت الهندسة بكل كياني، وعشت معها كشريك حياة وحيدة، عاشرتها طيلة خمس سنوات فلم يزدني ذلك إلا حبا وعشقا وهياما بها، تمنيت أن تكون حياتي كلها هندسة فبعد أن هندستني كإنسان، فشلت في هندسة أحلامي كمهندسة، وأنتهى بي المطاف في غيابة الجب وحيدة ليس معي إلا ورقتي وقلمي، لم أندم يوما واحدا أني تخليت عن الطب والتحقت بالهندسة، ففيها تعلمت معنى الأمل والطموح واللذة، وفيها علمتني معنى المتعة والإبداع ممزوج بالنجاح والكفاح، وفوق ذلك كله تعلمت أن لا أكون غير متألقة ولا أرضى إلا بالقمة، الهندسة علمتني الرهبنة والخلوة والوحدة، لأنها كانت عالمي وحياتي وكل آمالي، كنت أعيش صبحي كله في المحاضرات أنصت وأسجل وأشارك وأتحدث، وفوق كل هذا وذاك أتألق على الجميع، وفي الليل أعيش جل وقتي مع الكتب والورقة والقلم والحاسبة، لم أكن بحاجة لأحد غير الهندسة، ولم يكن أحد يحتاجني أصلا سواها، علمتني الهندسة

كيف استمتع بالخلوة، وأتلذذ بالوحدة، علمتني الطموح الأزلي الأبدي الخالد الذي لا يفنى، طالما أن روح الهندسة تغلف كياني، وما إن فارقتني هذه الروح حتى أصبحت الخلوة معذبتي والوحدة جلادي، وصارت أكره شيء لنفسي بعد أن كانت رفيق دربي وشريك مسيرتي، فيا له من حلم تبخر، وطموح علا حتى غاب واختفى، ولا يزال الحب كل الحب هو الهندسة بلا منافس أو منازع أو حتى غالب، فمتى يعود حتى يحتضني، ومتى يعود فيغلف نفسي بهدوئه وسكونه، فيرتاح في الأمل وترتاح كل أوصالي.

سيارتي

هي أحد مصادر سعادتي ولعلها أهمها، فخلطة التغير السحرية للتغلب على الاكتئاب لا يمكن تطبيقها إلا بوجود سيارتي الخاصة، كنت أعتبر سيارتي وسيلة من وسائل هروبي من الناس، وخاصة من أعرفهم، والتوجه إلى أي مكان يصادفني في طريق ذهابي للمجهول، عندما مرضت، واشتد علي المرض، حرمت من كل شيء، هاتفي سيارتي لاب توبي حتى التلفاز أحيانا، وظللت هكذا وحيدة حبيسة الفراش، ولم يتوقف الحرمان عند هذا الحد فقط بل طال سيارتي أيضا، لأني عندما أقودها أدخل في دوامة انفصام ولحظات سعادة تجعلني أشبه بشخص مغيب، غير مدرك للواقع الذي يعيشه، وهذا ما يسبب لي الوقوع في حوادث مرورية كثيرة تكلفني المئات من الريالات، لا أدري هل حرماني من سعادتي الذي يهبني إياه قيادتي لسيارتي خير من وقوعي في حادث قد أفقد فيه أغلى ممتلكاتي وهو جسدي أو نفسي كلها، الخيار قد يكون سهل، لكن النتيجة مكلفة في الحالتين .الأفكار والأوهام لا تتوقف إلا في حالة واحدة فقط، وهي حالة انفصالي عن العالم الكلي ودخولي زنزانة البيت، لذلك أحب سيارتي، فمن لحظة دخولها

وعلى طول لحظات قيادتي لها أشعر وأنا أرى الناس، حركاتهم سكناتهم أفعالهم وردود أفعالهم نشاطاتهم وتفاعلاتهم مع الكائنات العجماء الصماء، أشعر بلحظة أنس وانسجام مع هذه اللوحة ككل، ومن هذه القصص والسيناريوهات تتولد لدي شرارات بسيطة كافية لإشعال برميل الأوهام والأفكار لدي، لتتولد قصة أشبه بالأسطورة لدى مخيلتي، قد يعترف بها عقلي كهلوسة وقد يرفضها الحال وواقعه كحقيقة، والغرض من هذا كله وذاك، السعادة الغامرة واللذة الملتهبة التي يفتعلها السيناريو بداخلي، رغم أني أحبها إلا أن طبيبي وأسرتي حرموني من قيادتها في الأشهر الأولى من تناولي لعقارTegretol، لأنه عقار معروف طبيا أنه يسبب الدوخة والرغبة في النوم ويؤثر على الرؤية قليلا، إلا أني مع مرور الأيام بدأت وطأة هذه الأعراض تخف عندي، ربما لأن جسدي تعود على التحكم بها ومنعها قدر الإمكان، رغم ذلك لم يسمح لي إلى اليوم بقيادتها لكثرة الحوادث التي تعرضت لها في فترة قليلة منذ حصولي على رخصة القيادة، ومما يخفف وطأة هذا الأمر علي أن نسبة عالية جدا من المرضى الذين يتعاطون نفس هذا العقار يعانون من مثل ما أعانيه .

أحب سيارتي لهذه الأسباب وأسباب أخرى ذكرتها في بداية مقالي هذا. سيارتي صومعتي المتحركة، اتمنى أن تعود لي يوما من الأيام ويعود الحال كما كان وأفضل.

الذكريات

الذكريات هي شريك حياتي في غيابة الجب، هي كظلي تتبعني حيثما اذهب وقت النهار، وقت الليل تتحول كلها إلى أحلام. المشكلة ليست في ملاصقتها لي، فأنا أجيد التجاهل حينما أريد، المشكلة أنها لا تحوي في طياتها غير الذكريات الفاشلة والحزينة والكئيبة متناسية جميع الذكريات الجميلة -إن وجدت-، لا أدري ما غرضها من ملاحقتي، ألا تتعب من فعلها هذا، أم أنها تجد متعة في تعذيب نفسي، عموما خصصت لك هذه الصفحة من كتابي لأخبرك فقط أن كل محاولاتك باءت بالفشل، واتمنى أن يعتبر من أرسلك لي من تجاهلي لك، فأنت مزعجة جدا وتكادين تقتربي من صفة الحقارة والدناءة في ملاحق شخص لا يرغب بك، أعلم أن الفراغ النفسي والعاطفي الذي يحاصرني يحرضك على فعلتك، ولكن تأكدي أنك في النهاية لن تنجي، لأن الحقارة لا تنتصر أبدا، أفعلي ما شئت فإن لي قلب أكبر من أن يلتفت لك.

كنت أؤمن دائما منذ صغري أن تذكر الأخطاء يساعد دائما أكثر في تذكر الأشياء الصائبة، يساعد في تحسين النفس والارتقاء بها، وخاصة في فترة محاسبة الذات، لم أكن ألتفت

للأشياء الجميلة والذكريات الحسنة لأن تذكرها في نظري مضيعة للوقت، كنت أفضل أن أتذكر المواقف السيئة أكثر، لأن تذكرها يجعل دماغي فورا يحللها ويعلل أسبابها ونتائجها و يبحث عن حل لتحسينها، أما الأشياء الجميلة فلا عمل لدماغي فيها سوى تذكرها، كنت مزدحمة جدا في التحسين ونسيت عامل التحفيز، الذكريات السيئة تحتاج إلى تحسين أما الذكريات الجميلة فهي عامل تحفيز، أغلب البشر تجعلهم الحياة يهملون نواحي كثيرة يحتاجونها، ربما لكثرة الضغوطات وزحام المهام، الآن فقط أدركت أن لابد للإنسان من تذكر الجميل بقدر القبيح أيضا، لأن الأول يحفز والثاني يحسن، وكلا الأمرين لا غنى عنهما.

لغة اللون

دائما ما يذكر علماء النفس والتنمية البشرية أن للون لغة معينة، وتأثيرا معلوما على النفس، ويظهر هذا التأثير لكل لون على حده، فمثلا اللون الأحمر لون المشاعر الحميمية والحب، واللون الأصفر لون السطوع واللون البحري لون الهدوء والبساطة واللون البنفسجي لون الخشوع، وحقيقة أنا أؤمن أنه من الإجحاف وغير الدقة في حق اللون أن نؤمن أن اللون الواحد له معنى واحد فقط ملتصق به، لأن الألوان لا توجد إلا بجسد يحتله، وليس لها لغة منفصلة بحد ذاتها، بل لغتها مشتركة بينها وبين الجسد، من ذلك نستنتج بصريح العبارة أن اللغة لا يحددها اللون فقط بل الجسد الذي يمثل اللون، ولنوضح الموضوع لابد أن نطرح مثال، فاللون الأبيض عندما يرفع كعلم في الحروب هذا يدل على السلام والوئام والاستسلام، أما عندما يكون اللون الأبيض متمثل بالكفن الذي يرتديه الميت فإنه رمز للفناء والموت، وكذلك لو طبقنا الأمر على اللون الأحمر، فالوردة عندما تكون حمراء، فهذا يدل على الحب والمشاعر الحميمة، أما عندما يرفع العلم الأحمر فهذا يدل على الحروب والدماء وما تخلفه من دمار وتهديم وعنف وإراقة،

ولكي نوضح المعنى باستفاضة أكثر، وبالدليل القاطع أيضا، فإذا كان للون الأسود معنى محددا مثلا باعتبار لغة الألوان، فلماذا يفضل الشخص أحيانا القميص الأسود على القميص الأبيض، في حين نفس الشخص لا يفضل البشرة السوداء على البشرة البيضاء، فهذا يدل تماما على أن اللغة لا تكون للون وحده هكذا مستقلا بدون الجسد، بل لابد من جسد يحتله اللون حتى يمثل لغة ما، وقد يكون للون الواحد أكثر من لغة باعتبار الجسد الذي يحتله.

قصة قصيرة

الشوارع تضج صخبا بالاحتفالات...
الساحات مكتظة بالشعب شيبا وشبانا...
الورود منثورة على كرسي الحاكم...
الحاكم الجديد...الذي أنهى حكم والده...
بخنجر غرسه في صدره...حاكم جائر فارق الحياة....
توهم الناس بانقشاع الظلام...وهبوا يتوجون حاكمهم الجديد...
الذي كان منشغلا بتقديم جسد والده قربانا للشياطين..
ليخضع شعبه تحت حكم جديد ويستبدل قوة الحديد بقوة الدم...
فيا له من فجر جديد...

غريبة

*من غرائب الدنيا وعجائبها هنا في عمان، بلدي الحبيب أنه إذا كانت المرأة لا تحب الطبخ والنفخ وأعمال البيت، فإنها حمارة وبهيمة، ولكن إن كانت لا تحب الكتب ولا تبالي إن مر شهر ولم تمسك كتابا فهذا أمر عادي ومألوف والأغرب من ذلك أنه محبوب ومرحب به، رغم أن القرآن ذكر الأمر بالقراءة ولم يذكر الأمر بالطبخ، ورغم أنهم يعرفون ذلك، لكن لا حياة لمن تنادي، فيا لها من طامة !

*من غرائب وعجائب الدنيا هنا في عمان أيضا، بلدي الحبيب،أن تبر وتخدم إنسانا عجوزا لا يعرف من دينه شيئا غير سبحان الله، والأدهى من ذلك أنه لا ينفك يردد «لا إله» -قلنا لك ما لا إله، بل لا إله إلا الله-.

*من غرائب وعجائب الدنيا الناس في عمان، بلدي الحبيب، أن النساء لا يخرجن من المطبخ طيلة اليوم إلا للصلاة، في حين أن النساء في الدول الغربية لا يدخلن المطبخ أبدا إلا لعمل الكوفي أو شرب الحليب قبل النوم !

أسئلة فلسفية

لماذا نكره المرض طالما أن هناك دواء يقضي عليه ويريحنا منه، يحيل المرض إلى صحة وتظهر الصحة بصورة المفيد المنتصر في النهاية، ولماذا نكره الشر طالما أن هناك دواء لكل شر، فيتحول الشر خيرا، وينتصر الخير دائما في النهاية؟ هل هذا مؤشر على أنه كلما تقدم العالم وكلما مر الزمن للأمام، زال الفاصل بين الخير والشر وانتهى الأمر بشيء واحد فقط هو الخير البحت؟ هل هذا مؤشر على أن العلم -الذي يأتي بالحلول دائما للمرض والشر- دائما هو الحد الفاصل بين صراع الخير مع الشر وصراع الصحة مع المرض؟ طالما أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، ويعلم ما يعلمه كل منا، هل الإسلام الذي أنزله الله بعلمه هو العلم الذي نتكلم عنه هنا؟هل هذا كله يبرهن عن ما قلته سابقا أن الإسلام هو الخير كله؟

حيرة

لماذا لا يؤمن المسلمون بفرضية دارون علما أنهم يؤمنون أن أكثر من نصف البشرية حيوانات ؟ على الأقل سيجدون تفسيرا منطقيا لوصفهم لي «وما أكثرهم ولو حرصت بمؤمنين» ب «أولئك كالأنعام بل هم أضل؟

أنهيت حيرتي بصداع خفيف في الرأس وهلوسة فريدة تقول أن دارون أخذ فلسفته الشهيرة في الارتقاء واقتبسها من قوله تعالى : «أولئك كالأنعام بل هم أضل»، وتوقف الصداع على أمل أن نجد فرضية عربية تضاهي دارون وتتبنى فكرة «أضل من الأنعام».

خيال واسع

لا أدري لماذا يقصدون ماليزيا سنويا من أجل منظر طبيعي، وأنا أصنع في دماغي يوميا لوحات طبيعية مجانا وتفوقها جمالا!!

جنون

حدثت أختي الصغيرة ليلا عندما لاحظت ضجرها ومللها في إجازتها الصيفية، فقلت مشاكسة لها : أو تعلمين أن المرأة أذكى من الرجل، فقالت : وما دليلك على ذلك، فقلت لها: شعر المرأة أطول من شعر الرجل، فردت مندهشة : وما علاقة الشعر بالذكاء، فرددت قائلة حتى انفضت حيرتها : الشعر الطويل دليل أن الغذاء أكثر، والغذاء الأكثر دليل على أن الدماغ نشيط أكثر، والنشاط دليل على أن الدماغ يعمل بصورة أكبر، وعمل الدماغ ونشاطه يعني نوعا ما الذكاء، عموما لم أكد أنتهي من حديثي حتى فرت أختي من جانبي وهي تحدث نفسها وتقول : اختي مجنونة، أختي ممسوسة!!

لطيفة*

سيناريو 1
في الدول الغربية الفرص تركض وراء المبدعين
وفي الدول العربية المبدعون يركضون وراء الفرص
أما في عمان، فالمبدعين يجزون الحشيش لأنه لا توجد فرص أصلا.

سيناريو 2
في الدول الغربيةالفرص تركض وراء المبدعين
وفي الدول العربية المبدعون يركضون وراء الفرص
أما في عمان فالمبدعون ينامون باكرا لكي يحلموا الفرص

*كتبتها في لحظة يأس لعدم حصولي على وظيفة بعد استقالتي لأسباب مرضية.

ليلة بكى القمر!

في صباح يوم الجمعة بتاريخ 27 من أغسطس كان أول أيام عيد الفطر المبارك، لا أزل أذكر ذلك اليوم الذي تأخرت فيه في تهنئة جدي بالعيد، ولم أذهب إلا حين قالت لي أمي ذلك في نهاية وقت الظهيرة، كنت حزينة بسبب أن أختي الكبيرة كانت مسؤولة عن خياطة ملابسي للعيد أنا وأخواتي، وكنت فترة قبل مرضي حساسة جدا لكل شيء، أتحسس من كل موضوع صغير كان أم كبيرا، فعل بقصد أم بغير قصد، ولا أنسى صاحبه بسرعة أبدا، أختي الكبيرة قامت بتصميم ملابس مخصرة لكل أخواتي ما عدا أنا،صممته لي بدون تخصير، فكان شكله غير مرض لي،لأنه غير جميل على جسدي، وتعللت بأني أنا أعطيتها القياس الخطأ، فبسبب هذا لم أرتدي الملابس إلا حين أمرتني أمي بذلك فلم أشأ رفض أمر لها، لذلك لبسته وذهبت بأمر منها لإلقاء تحية العيد على جدي، لا أزال أذكر ذلك اليوم كان وجهه مبيضا ومشرقا، دنوت منه لأسلم عليه فإذا بي أشعر كأن أحدا يحدثني ويقول : «أنه آخر يوم لجدك» كعادة الصوت الذي أسمعه دائما ؛ لذلك هنأته وغصة تخنقني، لذلك غادرت بسرعة الغرفة، طلب مني أن أجلس لتناول الحلوى فرفضت

بسبب الضيق الذي أحسست به، لا أدري لم أشعر إلا به وهو يرى ينظر في ملابسي وكأنه عرف سر تأخري في السلام عليه، سأخبركم سرا، أنا وجدي لدينا تواصل من نوع خاص، أشبه ما يكون بالتخاطر، نفهم بعضنا بنظرات فقط.

في ليلة السبت، كنا أنا وأبي وأخواتي نقطع اللحم استعدادا لثاني أيام العيد، وكان هذا في بيت جدي، وجدي كعادته كان مستلقا في فراشه في بهو بيته، فجأة لا أزال أذكر ذلك الموقف الذي حصل، أحسست بإحساس الاكتئاب الذي أحس به الآن بعد المرض، وكأن ضيقا يخنقني أو جملا يبكر على صدري فانهارت نفسي ولم أقوى على الصمود فبدأت أهلوس وأنظر إلى جدي وأقول لهم : «حبيبي جدي، أنا أحب جدي»، رددت عمتي ورائي : «حبيبي أبوي»، فعدت كلامي مره أخرى : «حبيبي جدي، فديته»، أحسست مع نوبة الضيق بحنان اتجاه جدي، أحسست أني أحبه فعلا، أقدره أحترمه، حتى غلبني الضيق فاستأذنتهم وغادرت البيت إلى سريري منهكه، وغطت نفسي في سبات عميق لم أستفق إلا على بكاء أمي وهي تقول : «رحل جدكم، رحل جدكم»، كان ذلك قبل صلاة الفجر بدقائق،حيث كانت موتته بعد أدائه صلاة قيام الليل، لم أشعر بشيء وكأني لم أسمع ما تقول، توجهت إلى بيت جدي، وقبلت رأسه ودعوت له، ثم بدأت بالبكاء، لم أشعر بالألم إلا عندما بدأت أبكي، ومن تلك اللحظة وأنا لا أتوقف عن البكاء على كل صغيرة وكبيرة، حتى انتهى الأمر بالانهيار العصبي بعد مشوار سنة كاملة من هذه الحادثة.

سكرانة

مرت علي فترات طويلة من الليل الكئيب أصارع فيه الضيق والهم والحزن، كتبت كلام كثير عن الحزن والكآبة، ولكن لم أتكلم عن المشاعر الجميلة والرقيقة والدافئة، لم أتحدث عن السعادة أبدا، وذلك لسببين : الأول أني كتبت تلك الأوراق السابقة من كتابي في فترة ضربت فيها ضرب مبرح بسبب تصرف تصرفت بناء على أوهام راودتني ووساوس استحوذت على فكري فسيطرت عليه، والسبب الثاني : أني كنت أعاني من نوبات ضيق تهجم علي في فترة الليل، أخبرت طبيبي النفسي بهجمات الضيق التي تهاجمني في فترة الليل فزاد جرعات ال **Tegretol**، فخفت نوبات الضيق التي تراودني بالليل، إلا أن الشعور الذي كنت أحس به لم يكن كافيا لأتكلم عن مشاعر رقيقة أو عن السعادة، وكانت نوبات هلع وخوف تهجم علي كل ثلاثة أشهر، لدرجة أني أشعر بنبضي يحرك ملابسي، لذلك قام طبيبي بزيادة جرعة الدواء الآخر **Flupenthixol**، فيا له من قرار، ما ألذ هذا العقار، يجعلني أشعر بأني كتلة لذيذة، جاهزة للالتهام، أو أني جاهزة لالتهام أحد من الجنس الآخر، يجعلني أشعر بنشوة ولذة من السعادة الغامرة، لا أنام إلا قليلا، وأقرأ وأكتب وأتصفح طيلة الوقت،

وسماعة الأغاني على أذني تردد كلمة ذهب ذهب لوليد الشامي، وأنا في حياتي لم أسمع أغاني، أشعر بأني سكرانة، وكأن نشوة السعادة تخدرني، لا أشعر بأوصالي، لا أشعر بشيء غير قلبي الذي ينبض بهدوء وسكينة، أرغب في الضحك والرقص على أنغام أغنية يا هوى لبلقيس، لا أدري لماذا أتذكر البحر الآن، ربما لدفئه وجمال منظره في هذه الفترة بالذات، وقت الغروب، سأخبركم سرا آخر، أنا كنت أخاف عندما أرى الغروب يذكرني بالموت والفناء، أما الآن فهو يذكرني بالحب، لا أدري العلاقة بينه وبين الحب، لا أدري أو بالأحرى ليست لي رغبة في التفكير الآن، لأني أحس أكثر من أن أفكر .كنت عندما أشعر بالضيق لا أقوى على الجلوس في مكان واحد، وأتحرك طول الوقت، أذرع المكان جيئة وذهابا، أما الآن بعد زيادة جرعة الدواء فأنا لا أرغب حتى في مغادرة مكاني، اتمنى لو يقدم لي الأكل هنا حيث أكتب وأقرأ وأتصفح، أصبحت أقرأ القرآن بسعادة وراحة بال، وأتلف أورادي من الذكر بطمأنينة وانشراح، وكأني متحررة من كل القيود والضغوطات التي كانت تخنق أنفاسي فتعيقني عن الإحساس، أرغب في الضحك بهستيرية وأنا أدردش طوال الوقت مع إنسان أرتاح له، فقط أخرج ما بداخلي، أرغب في أن استمع لألف محاضرة وأقرأ ألف كتاب في نفس الوقت، أشعر بنشوة لكتابة قصيدة في الغزل أو العشق أو أن أتحدث بإسهاب عن الحب والرغبة، أتمنى لو يكون لدي ألف حبيب الآن وألف عشيق، يا إلهي، ليتكم تجربون ما أشعر به !

أشعر أني منتشة، يا إلهي إني أمر الآن بنوبة هوس حادة، ولكنها منضبطة تحت تأثير العقار، الهوس رهيب، يجعلك تحلق

عاليا بدون أجنحة، يجعلك تغوص للقاع بدون أكسجين، وكأن الكتابة أكسجيني، تجعلني أتنفس بحرية، وأنفس عن ما بداخلي، أشعر بطاقة كبيرة ملتهبة تكاد تنفجر داخلي، أرغب بالصراخ وتوزيع القبل على العالم، كما أشتهي قطف الورود لأهدي بها نفسي، كما أشتهي معانقة ذاتي وكياني، كم أتمنى لو أني أرى الآن الجاحظ أو المتنبي لعله يجيد وصف حالتي ببالغ العبارات وأجزل الألفاظ، في الهوس أرغب في مليون شيء، وفي الاكتئاب لا أرغب إلا بأكثر من أكسجين يبقيني حية، الهوس يجعلني أكتب دون توقف وأنصت بخشوع، لو كان الهوس كائنا حيا لقبلته مليون قبله، ولأهديه وردة وفوقها عهدي بأن أظل له وفية، كم أعشق فترات جنوني وهوسي، يجعلني أستلذ كل شيء حتى صوت المؤذن وهو يؤذن.

قلبي لا يكف عن سؤالي الآن، هل السكارى يشعروني بما تشعرين به الآن؟ يا إلهي، ما ألذ السكر الحلال، السكر بتناول الFlupenthixol.يا إلهي متى سأصحى؟

أو ربما لن أصحى،فشارب الخمر يصحو بعد سكرته، وشارب الFlupenthixol طول الدهر سكران.

العجائز

في بداية صفحات كتابي كان حديثي عن «الأمل»، الشيء الوحيد الذي يجعل الوجود يتحرك من الأسواء للأحسن ومن الأسفل للأعلى، أما الجسد الذي يسكنه «العجز» ويستحوذ عليه «اليأس» فلا يجد «الأمل» له طريقا يشقه ليصل إلى قلبه، هذا بالضبط ما أشعر به حينما أرى العجائز وكبار السن، أحيانا أشعر أني أرى أجسادا تختزن كومة من الألم والتعب والجهد والشقاء ولا تكترث بشيء أبدا غير ما تأكله ويسد رمقها ثلاثا في اليوم الواحد، ولا تنتظر شيئا غير الموت الذي تحوم أشباحه حولهن بكل سوداويته وتعاسته، دائما أسأل نفسي كيف يستطيع الإنسان العيش في دنيا لا أمل له في عودتها دنيا له، لا أمل في أن يعيشها بحرية وسعادة ودافع يدفعني لأرتقب الغد، الغد الجميل المكلل بالعمل والجد والمثابرة والطموح وترقب النجاح، ماذا لو فقد كل هذا في طرفة عين وأصبحت إنسانا أفضل ما يقال فيه أنه «عاجز»، فيا لها من نهاية!!

دائما أسأل نفسي هل العجائز وهن الآن عجائز يعرفن معنى السعادة؟ هل هن الآن سعيدات؟ هل هناك بصيص من الأمل في جعلهن سعيدات ؟ وعندما أذكر السعادة دائما يقفز في

ذهني ذكر وتذكر الموت، هل يستطيع الإنسان العيش بسعادة وهو يعرف حتما أنه سيأتي يوم وهو يوم قريب سيغدو فيه جثة هامدة، جثة تنتظر اليوم الذي يهال عليها التراب بفارغ الصبر، دائما أسأل نفسي هل العجائز تضمر لديهن الخلايا الدماغية المسؤولة عن السعادة والأمل، مثلما تضمر الخلايا الأخرى المسؤولة عن باقي الأعضاء؟ ألذلك هن لا يكترثن بهذا، لا يكترثن بالابتسامة والضحك والسعادة؟ وطالما أن الإنسان في مثل هذا العمر ينسى كل شيء، لماذا لا ينسى الموت أيضا؟ ربما لأن كل عضو يبدأ في الموت قبل الموت الأخير، فلذلك ينتظر الإنسان الموت الكبير، والعجائز ليس لهن شغل غير رؤية الموت يوما بعد يوم، الموت بشتى أنواعه من موت السمع أو الأذن أو العين، حتى يصل إلى موت الجسد كله وذهاب الروح.

ذات يوم سألت جدتي : «ألا تخافين الموت»، فقالت بهدوء وبساطة وراحة بال : «لا ما أخافه، حد يخاف من الموت؟»، ربما هدؤها وسكينة نفسها يعلل الكلام الذي قلته سابقا كله، لا أدري لماذا مهتمة كثيرا بالعجائز، ربما الموت يذكرني بكل شيء يتعلق به، ألا سحقا للموت ومرحبا بالحياة.

البكاء

أشعر أني دائما مرهفة الإحساس، دافئة المشاعر، رقيقة الطبع، أتأثر بسرعة لأي سبب بسيط فأنزعج وأبدي ردة فعل تختلف باختلاف الموقف، فإن كان الموقف شديدا بكيت بكاء حارا، وكأن دموعي تخرج شلالات لتطفئ نار اشتعال مشاعري، منذ بلغت وأنا حالي هكذا، وازدادت الحالة قبل مرضي بعام، حيث مررت بأزمة عاطفية حادة، جعلت مني إنسانة حساسة لكل صغير وكبيرة ؛ لأن تداعيات تلك الأزمة كانت لها نتائج موجعة، خرجت منها أجر أذيال الخيبة والخسارة، فطبعت على قلبي نكتة محرقة مؤلمة، لا أزال أتذكرها إلى اليوم، لأنها كانت تمس شخصي أكثر مما كانت تتعلق بحظوظ القدر. بعد وفاة جدي بكيت كثيرا على فراقه، ومن تلك اللحظة والمصائب تتوالى على نفسي، حتى ضاق صدري منها ضجرا، وأثقلت كاهلي، وأرقت مضجعي، فكنت أنام بصعوبة، وأصحى متعبة مرهقة لم أذق طعم الراحة أو السكينة، حتى جاء يوم الذي انهارت فيه نفسي عصبيا، وأصبت بجلطة في الدماغ استمرت ثواني معدودة فقط، والحمد لله أنها لم تؤثر على سلامة عقلي إلا قليلا. بعد الانهيار العصبي، أصبت بخمول عاطفي فجائي، وتراجع مؤشر إحساسي

كثيرا، وأصبحت أكثر شدة وخشونة وتفهمنا لمن حولي، كنت قبل مرضي أبكي بشدة ولكن بعد مرضي أصبحت أحاول البكاء و لا استطيع، وزادت العقاقير التي أتناولها من هدوء نفسي، وسكينتها، ولم أعد أذرف ولو دمعة واحدة، حتى لو تعرضت لسيل جارف من التجريح، ولربما قابلتها بضحكة هستيرية تنم عن قدر عال من الاستهتار وعدم المبالة التي أصبحت أشعر بها الآن وفي مثل هذه المرحلة.

البكاء ليس عار، ولا عيب، البكاء ينم عن قلب متيقظ ذاكر، ومشاعر متوهجة متقدة، وروح مفعمة بالإيمان، فلقد كان يسمع بكاء الصالحين حين يقرأون القرآن وكأنه نوح حمام، وكثير من المواقف التي تزهر بها السنة والتي بكاء فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولولا أن للبكاء معاني عالية لما قال فيه بعض السلف الصالح : "ابكوا من خشية الله فإن لم تبكوا فتباكوا»، والقرآن زاخر بأدلة تدل على أن البكاء عند قرأت القرآن من صفات المؤمنين الأنقياء الأصفياء، فالله تعالى يقول: « وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً"، فمن كان بكاء في قرأته فهو بكاء في كل موقف مؤثر، فالقلب الذي يرق للقرآن، يرق لكل ما يجب أن يرق له، فالقرآن كله ملخص للحياة، فمن سرع تأثره بالقرآن، فهو سريع التأثير بكل ما يؤثر على النفس من أمور الدنيا.

التخاطر

يقال أن التخاطر الروحي أو الذهني أو أيا كان اسمه هو نوع من التواصل بين الأشخاص تجعل الطرفين يعرفون ما يجول في أذهان بعضهم عن طريق الإشارات الكهرومغناطيسية التي يولدها النشاط الكهربائي لخلايا المخ في الدماغ، بحيث تستقبلها خلايا مخ دماغ الآخر-الإشارات الكهرومغناطيسية أقصد- وتحللها وتعطي الشخص المتلقي رسالة واضحة عن ما يفكر به الآخر. هذا باختصار شديد ميكانزيم التخاطر الذهني، لا تسألوني عن رأي، ليس مهم حقا ما أراه هنا ؛ لأنه لا دليل على صحته، كما أن عدم القدرة على إثباته لا ينفي وجوده، هذا يعني أن المشكلة تضخمت أكثر الآن، والرؤية غير واضحة ؛ لذلك رأي لا يهم، ولسبب آخر لا أرغب في قول رأي فيه، هو أن التفسير الآخر لقدرة بعض الناس على قراءة أفكار الأشخاص الآخرين هو تفسير غيبي يتعلق بالقوى الشيطانية أو الروحانية، وهذا التفسير أيضا لا يوجد ما يثبته ولا ينفيه، لكن توجد أدلة قرآنية كثيرة تدل على أن هذه القوى بإمكانها الوسوسة للإنسان، أي أنها بإمكانها التحدث معه، وطالما أنها بإمكانها التحدث معه، فما الذي يضمن أن لا تكون هذه القوى هي من تنقل الأفكار

بين الأشخاص بدل الإشارات الكهرومغناطيسية. عموما الموضوع يحتاج إلى تعمق وبحث مستفيض،وليس من السهولة أن يبت أي أناس فيه دون وجود أدلة وبراهين وحجج واضحة، رغم أن الرؤية صعبة جدا في هذا الموضوع للحاجز الذي بيننا وبين إدراك هذا العالم بمكنوناته.

ذكرت سابقا في مقالي تحت عنوان «بداية الصراع» أني بدأت في سن صغيرة أسمع أحدا يحدثني ويخاطبني ويهمس لي، وحواراته منطقية ومتعلقة بالأحداث الحياتية التي تواجهني وليست ضربا من الخيال، الموضوع لم يتوقف عند هذا الحد فقط، بل أشعر أحيانا بأنني بإمكاني إرسال كلامي لبعض الأشخاص ويسمعوني دون أن أتكلم بصوتي، وحدث هذا معي كثيرا، حيث كنت أردد كلمات بداخلي تتعلق بموضوع المحاضرة،وبعد بضع ثواني أتفاجأ بالدكتور يردد نفس العبارة، وحدث هذا معي مرتين، أحدهما مع دكتور بريطاني والآخر مع دكتور مصري يدرس مادة الكيمياء لطلاب العلوم والهندسة. أرسلت في أحد الأيام آية قرآنية لشخص كان واقفا أمامي، رددتها داخلي ثم نظرت لها فأخذ يردد ما قلته بداخلي، والمشكلة الأخرى التي تظهر في هذا الموضوع أنه ليس الكل لديه القدرة على استقبال كلامي، بل بعض منهم فقط ممن يملكون قدرات خاصة تشبهني أو تفوقني، لا أدري ما سر هذه القدرة التي أمتلكها، أو ما تفسيرها، علما أني سألت مرضى غيري ممن شخصوا بنفس مرضي ولم يذكروا لي مثل هذا، لا أدري ما المميز في أنا بالذات، وما سر كل هذا، ربما أنه ضرب من الخيال لا أكثر، ربما ! أقول ربما!

حرارة الجسد

تصبب العرق من جبيني وأوهم أن الوحي ينزل علي كما كان يصير لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدأت في مرحلة مبكرة من أيام المدرسة، وكان يحدث لي عندما أتعرض لموقف محرج، أو لسبب آخر سأذكره لاحقا، كانت كمية العرق التي تخرج من جبيني عندما كنت في المدرسة قليلة، بدأت تزداد غزارة وشدة ومن سائر جسدي عندما دخلت الجامعة وبدأت أشعر بحرارة في جسمي لا ترافقني، كان ذلك في أول أسبوع لي من دخولي الجامعة، عدت من الأسبوع التعريفي مرهقة ومتعبة وقت الظهر وكنا في مسقط وأنا من سكان المضيبي، لذلك فأنا أصلي سفر لأني من أتباع المذهب الإباضية، فارتأيت أن أؤخر صلاة الظهر وأجمعها مع صلاة العصر، ونمت مرهقة من شدة التعب، وفجأة أثناء نومي وأنا أشعر بحرارة تكويني وكأنها نار وبدأ جبيني يتفصد عرقا، نهضت نزقة من نومي وأنا أشعر بالخوف من الله ومن الموت، ثم هممت أمسك سجادتي وأصلي الظهر، ومن تلك اللحظة وأنا لا أؤخر صلاة الظهر أبدا، بل أصلي جمع تقديم فور الآذان مباشرة.

تأتيني دائما أوهام أن الوحي ينزل علي عندما أتعرق، وأضحك من هذا الوهم الذي لا يكف يضايقني رغم أني لا أصدقه أبدا . أخبرتكم أن هناك سبب آخر يجعل جبيني يعرق لكن قبل هذا سأخبركم عن سر آخر، وهو أنه دائما هذه الأوهام والهلوسات تأمرني أن أفعل شيء وتقنعني بفعله وعندما أفعله تسبني وتشتمني أو تسخر مني بقولها مثلا : «غبية لماذا فعلت هذا»، فتحرجني وأشعر بالغباء، لذلك يعرق جبيني، ولي بذلك شاهد ودليل، أما الشاهد فهو مشهد حدث لي أثناء تخرجي في جامعة السلطان قابوس، كانت الأوهام لا تتوقف طيلة أشهر توغر صدري على طالبات الجامعة وتذكرني بمواقف حدثت لي ترفض ذاكرتي أن تنساها،أخذت تلح لي أن أقوم بحركة فور تسليمي للشهادة، وفعلا فعلتها، وبعد أن فعلتها صرخت في دماغي «غبية» فتصبب مني العرق وأحتر جسمي حتى أن زميلتي لاحظت هذا وكانت جانبي فقالت لي : «ما بك»؟، رددت قائلة بهدوء : «لا شيء» .

الحرارة بعد مرضي ازدادت حتى أني أصبحت ألبس ملابس خفيفة كثيرا وأكره الملابس الثقيلة التي أرتديها، حتى أن بعض الملابس تشف عن ما أسفلها، أصبحت شخصا آخر، كل حرارتي مرتفعة وجسدي يتصبب عرقا لأي سبب كان، سألت طبيبي عن هذا وطلب مني عمل فحص الغدة الدرقية لكن ولله الحمد كانت الفحوصات سليمة والغدة الدرقية معدل إفرازها لهرمون الثيروكسين منخفض قليلا لكنه في الحدود الطبيعية، وتم إخراج الغدة الدرقية من الاحتمالات المسببة لهذه الحرارة، ولم يوجد سبب طبي إلى الآن يمكنه أن يسبب هذه الحرارة فكل

فحوصاتي الطبية المتعلقة بعمل جسمي وظائفه الفسيولوجية سليمة. عموما لا تزال الحرارة إلى الآن تعاودني رغم تحسن حالتي النفسية قليلا ولله الحمد ولا زلت أرتدي الملابس الخفيفة ولكن باحتراز أكثر من السابق. لا أدري إن كنتم ستفهمون ما أقوله، لكن متأكدة سيفهمها ولو شخص واحد، ما يجعلني متأكدة هو أني رأيت صورة له في أحد المواقع وهو يرتدي ملابس رجالية خفيفة تشف عن ملابسه الداخلية، ولم يصلني عنه إلا السخرية منه، وصدق من قال : «إذا عرف السبب، بطل العجب».

حمقى

ما أحمق هؤلاء العصريين، أو بالأحرى من يدعون العصرية، يؤمنون أن الإنسان اجتماعي بطبعه، لكن العصبية القبلية عندهم نظام قطيع!! أو ليست القبيلة نتاج أن الإنسان اجتماعي بطبعه؟ فلا ينفصل عن الجماعة-القبيلة بالمصطلح القديم-إلا الصعاليك أو بالأسلوب العصري مرضى التوحد!

النسب يولد الالتحام، والالتحام يولد طول العشرة، وطول العشرة يولد الولاء للمجموعة القبيلة والولاء يشد من عضد الأفراد بعضهم بجانب بعض فتتولد القبيلة أو الجماعة، النسب يتمثل في ذوي القربى والأرحام، والقرآن حث كثيرا على وصلهم وإكرامهم وإعانتهم وكل هذا وذاك يصب في مصلحة المجموعة، فإذا كانت المجموعة التي تجمعها الرحم والنسب وصلة القرابة والاشتراك في التوجهات والدين واللغة قطيع، فماذا يقولون عن الأحزاب السياسية المعارضة التي يشكلونها، أو ليست نوع راق من أنواع القطيع ولكن هذه المرة أقل تلاحما، أو بالمعنى الدقيق احتمال الخيانة فيه أكبر من خيانة القبيلة!

إذا ميل الأفراد لتشكيل مجموعة بها تتم مصالحهم، هي نزعة فطرية طبيعية، فالإنسان مجبول على الحاجة إلى أخيه وعدم

استقامة أمره بالعمل وحده منفردا، وإنه حتى لو قام بذلك وحده لن يجد لذة ذلك إلا بمشاركته مع أفراد آخرين من ذوي جنسه، تجمعهم المصالح والهوية و-إلا كيف سيتواصلون فيما بينهم- وتفرقهم الأهواء الشخصية، فالبركة في الجماعة ويد الله معها، ومن شذ شذ في النار.

*هذا المقال كتبته ردا على روائية عمانية تقول أن القبيلة نظام قطيع وهي من الحزب المعارض للحكومة في سلطنة عمان، وترفض كتابة القبيلة في نهاية اسمها متبعة نهج غيرها من المثقفات العمانيات، فرددت عليها فور قراءتي لشرح نظرية العصبية لابن خلدون في كتاب «فكر ابن خلدون،العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي»،للفيلسوف العربي المغربي محمد عابد الجابري.

الغرور

الإنسان المغرور هو الإنسان الذي يعطي نفسه قدر أكبر من قدرها، كمن يرتدي جلباب لا يتسع له، من أيام صغري والناس تناديني مغرورة، كنت لا أحزن ولا تؤثر فين أصلا إلى أن قرأت قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، و كنت قد نضجت ووصلت لمرحلة فهمت فيها أن الغرور والكبر وجهان لعملة واحدة، فكنت عندما يذكر لي الغرور أتذكر فورا مصير المتكبر والمتعالي، فالمتكبر يرفض الحق ويغمط الناس لأنه يؤمن بداخله أنه أفضل من غيره وأن قدره أكبر مما هو عليه، فإنشتاين يقول: «كلما زاد الغرور قلت المعرفة»، لأن المغرور ببساطة دائما يرى أنه أفضل من غيره وأن غيره لا يعلم الذي يعلمه، فيجعله يرفض العلم وإن كان حقا، لأنه يتثبت برأيه ويصر عليه،كل هذا جعلني أتيقن أنه هناك علاقة وثيقة بين الغرور والكبر؛ لذلك كنت أصرخ في وجه من يقولها لي قائلة : «تريدون أن تحكموا علي بالنار ؟ هل أنتم ربي؟ هل تعرفوا ما بداخلي؟»، هذا ما حصل عندما كنت في منتصف الفصل الدراسي للصف الثاني ثانوي، ونعتتني أحد البنات بالمغرورة، وكانت تقولها بشيء من السخرية والاستهزاء،

فارتعدت أوصالي واهتز كياني و اضطرب وجداني وتوقفت وأنا أتخيل النار وعذابها، والجحيم وحممها، والقيامة وأهوالها،فخر جسدي مصروعا وقد أصابني التصلب، فكنت لا أقوى على تحريك أطراف أصابعي، ولا أستطيع الحركة، حتى حملت إلى غرفة المديرة حملا على الأيادي، ورفضت أن يمسح يدي أحد، حتى أتصلت المديرة بوالدي وجاء فورا لأخذي وغادرنا المدرسة.

في الجامعة كان الوضع خلاف ذلك، كانوا بداخلهم يرون أنني مغرورة ولكن كانوا ينعتوني ب «المهرج»، لا أدري ما الذي يضحكهم، والمفروض أن أضحك أنا عليهم، لكني إنسان أولا وأخيرا وإن لم يكترثوا لأحاسيسي أنا أكترث جدا لأحاسيسهم، ولا أحب أن أجرح إلا من جرحني، ولا أجرحه وجها لوجه لأني لا استطيع مواجهة الإنسانية في موقف ثأر، بل أرسل له رسالة أو أكتب له مكتوب أو أرد عليه في مواقع التواصل الاجتماعي. هذه كل قصتي مع الغرور، ورغم كل ذلك فأنا لا أكره من نعتني بالغرور لأني متيقنة أنهم يرونني «واثقة» أكثر من اللازم، والثقة تنبع من قوة الإرادة والعزيمة، وهم لا يعرفون الفرق بين هذه المصطلحات كلها، أو ربما لا يرغبون في المعرفة، في النهاية الغبي والمتغابي أحيانا سيان.

سؤال علمي ديني

قال تعالى : «إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ { 1 } وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ { 2 } وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ،" دائما عندما أقرأ هذه الآيات يتبادرإلى ذهني سؤال بديهي معقد وهو كيف تنشق السماء يوم القيامة؟ معظم تفاسير القرآن تذكر أن السماء ستنشق فعلا يوم القيامة ولكن لا توجد صورة واضحة عن كيفية انشقاق السماء يوم القيامة، أو ما الذي يجعلها تنشق، وما علاقة انشقاق السماء بالآيات التي بعدها من تناثر الكواكب وتفجير البحار وغيرها من الأهوال العظيمة.

المتعارف عليه علميا أن السماء 78% غاز النتيروجين و21% غاز الأكسجين والباقي غازات أخرى مختلفة، أي أن السماء عبارة في مجملها عن غاز، وعادة الغاز لا ينشق، لأن جزيئاته غير مترابطة فيما بينها، بل كل جزء يسبح في الكون وحده حر من تأثير الجزئيات الأخرى إلا قليلا، ولفظة الانشقاق تستخدم كثيرا للأشياء الصلبة، أي مثل الخشب أو الحديد أو الذهب، فنقول انشق الثوب أو انشقت الآنية، لأن الآنية والثوب صنعتا من مواد صلبة قابلة للانشقاق بسبب ترابط جزيئاتها ترابط وثيق فيما بينها، إذا عندما تقول الآية أن السماء ستنشق هل

فعلا يمكن للغاز أن ينشق؟ أم أن الآية فيها استعارة، فليست السماء التي لا تنشق ولكن شيءا آخر في السماء، شيء صلب مثل الكواكب أو النجوم أو غيرها من الأجسام الصلبة، للإجابة على هذا السؤال لا بد أن نتطلع على كتب التفسير، وحقيقة اطلعت على تفسير ابن كثير وتفسير الجلايين وتفاسير أخرى موجودة في مواقع الشبكة الإلكترونية ولا يوجد تفسير فعلي للإجابة عن كيفية انشقاق السماء وهل ينشق الغاز؟

إذا كانت جزيئات السماء لا تنشق، فما الذي ينشق في السماء؟، درسنا علميا الانشطار النووي للذرة، أي أن الذرة بالإمكان أن تنشطر، أي تنشق، والانشطار النووي عبارة عن تفكك نوى ذرة العنصر المنشطر بطريقة لتكوين عنصرين مختلفين مع كمية كبيرة من الطاقة وذلك لأن كل نوى العناصر تحتوي على كميات متفاوتة من هذه الطاقة الكامنة إلا أن العلماء لم يتمكنوا من الحصول عليها إلا من خلال شطر نوى بعض العناصر الثقيلة ، تبادر لذهني فور قرأت هذه المعلومة أن السماء تنشق فعلا، ولكن الذي ينشق فيها هو ليس جزيئاته ؛لأنها غير مترابطة أصلا، بل نوى ذراته، أي أنه يوم القيامة ربما سيحصل انشطار أو انشقاق نووي لذرات السماء، وكلنا يعرف حجم الطاقة المتولدة من الانشطار النووي لذرة واحدة ، فما بالك بعدد لا نهاية له من الذرات؟! وهي طاقة كافية لأن تجعل الكواكب تتناثر والبحار تتفجر يوم القيامة، قد تكون الطريقة مجهولة لكيفية انشطار ذرات السماء، ولكن المتتبع لما ذكر في القرآن والسيرة قد يتوصل إلى أمر ما، ربما سأتطرق إلى هذا الموضوع باستفاضة لاحقا، ربما! أقول ربما!، والله أعلم بحقيقة الأمر.

SALATA

أن يوافق القدر ما تفكر فيه مرة ربما حظ من حظوظه، ولكن أن يتكرر الأمر أكثر من مرة فهذا مصدر قلق وخوف ويثير الكثير من التساؤلات. عندما بدأت أدخل في نوبة الهلوسات كان ذلك فور انهياري عصبيا وبدء اشتداد مرضي، كنت أشعر بأن صوتا يكلمني ويحدثني، مثل ما ذكرت هذا سابقا، لكن الجديد هذه المرة أن ما يخبرني به أراه بعد فترة وجيزة جدا على التلفاز، كانت فجأة تأتيني أفكار عن مواضيع شتى لا صلة بينها إلا أحداث مرت في حياتي، فتربطها ربطا عجيبا وتستنتج قصة غريبة تجعلني أصدقها، ولو كنت قبل مرضي لما صدقتها.

في أحد الأيام دخلت نوبة هلوسة شديدة جدا جعلتني طيلة اليوم لا أتوقف عن الحركة وأردد أغنية عبد المجيد عبدالله «أتدلع يا كايدهم»، جاء الليل وأنا لا أزال على هذه الحالة، فجأة شعرت برغبة في مشاهدة التلفاز الذي لا أحب مشاهدته أبدا، ولا أدري السبب، كنت أقلب القنوات وسقطت عيني على قناة اسمها سلطة، أتوقع أنها قناة مصرية، أتصلت فيهم، بعد عرضهم صورة هيفاء وهبي، وإلحاح المذيعة بأسلوب استفزازي للمشاهدين على التركيز على الصورة واستخراج أوجه الاختلاف

بين الصورتين، وكانت تكرر كلمة «ركزوا» أكثر من مرة، وكأنها تطلب أن نقلع أعيننا ونلصقها في صورة هيفاء وهبي الخليعة، في أقل من خمس ثوان وجدت الاختلاف واتصلت لأجرب، فضول التجربة فقط، وضعوني على الخط عشرين دقيقة بالتمام، رغم أن الاتصال دولي رفضت أن أقفل الخط وانتظرت لأرى أين ستوصل الخدعة، أمي كانت تصرخ علي أن أقفل الخط، فقلت لها بهدوء لن أغلقه وسأدفع تكاليفها بنفسي، بعد برهة سمعت القناة تعرض أغنية «أتدلع يا كايدهم».عموما حولوني بعد 20 دقيقة للأستوديو، وسمعت صوت المذيعة تقول مساء الخير، فقالت السلام عليكم، قالت من معي فأجبت باسم أختي الصغيرة، وتفاجأت أنها لا ترد علي، بعد ذلك سمعت شخص آخر يتحدث وموصول بالأستوديو أيضا، لم أصدق أنها خدعة ولولا أمي لما أغلقت السماعة ولانتظرت إلى أن أكلم المذيعة، إلا أن القدر خالفني هذه المرة فأنصعت لأمر أمي وأغلقت الهاتف لأودع القناة التي اسمها يذكرني ب «وزني». عموما كان ثمن حبي للمغامرة والاستكشاف أن دفعت 20 ريال من مالي الخاص ثمن الانتظار على الخط ولا شيء. الموضوع لم يكن مقصورا على هذه القناة فقط، بل حصلت لي مواقف مشابهة في أكثر من قناة، أفكر فجأة بشيء وبعد مدة بسيطة أتفاجأ بصورة أو مشهد بما أفكر فيه على القناة.

رسالة مشفرة

[1/1 -3/4-2/4-1/1-5/3-6/4-7/7-4/7]

*سبب	*كل	*أحد	*نور	*كان	*صحتي	*سقمي
*أخي	*الجزء	*الضرر	*موقف	*ظل	*الحب	*عدوي
*الأجهزة	*الإسقاط	*الكلاب	*مرضي	*محمد	*أمي	*خانني
*النفسي	*الرئيسي	*السحر	*لازال	*الصحة	*عائلتي	*وصديقه
*العقل	*مستشفى	*المذيع	*حياة	*جدي	*الضرب	*وفاء
*أحمد	*المركب	*الجن	*راشد	*لا يزال	*غالية	*المحروقي
*الصيدلية	*نفسي	*الطبيب	*سعيد	*وفاة	*تربص	*السعدي
*مع	*العقار	*المعالج	*كن	*سعيد	*الموت	*الهاشمي

قراءة وسؤال

في كتاب الصراع الأبدي للدكتور زكريا المحرمي جاء ما هذا هذا هو نصه : «يقول البعض أن مسألة الولاية والبراءة عبارة عن ممارسات عقلية متمثلة في إقامة تحالفات سياسية واجتماعية وفق شرع الله دون ارتباط هذه الممارسة بالمعاني الوجدانية كالمحبة والمودة أو البغض والكراهية المتعلقة غالبا بالمواقف الشخصية المجردة»، هذا الكلام يثير في ذهني سؤال فلسفي ديني وهو : «هل الوجدان المتمثل بالمحبة والبغض شيء منفصل ومستقل بذاته عن الممارسات العقلية؟ أما أنهما مرتبطان بعلاقة سببية كسبب ونتيجة مثلا، باعتبار أن الوجدان قد يكون سببا في ممارسات عقلية وقد يكون نتيجة لممارسات عقلية؟، حقيقة الإجابة على مثل هذا السؤال قد تؤثر في قرارات الشخص المتعلقة بمسألتي الولاية والبراءة، وأنا أؤمن أن الوجدان والعقل لا يمكن فصلهما أبدا عن بعضهما البعض، فعندما أكره شخصا ما فإني اكرهه لسبب ما، قد يكون هذا سببا عقليا، وفي قضية البراءة فإن المسلم يكره المشرك لسبب عقلي مقنع وهو أنه مصر على فعل الكبائر، مستبيح لها، مجاوز لحدود الله مجاهر بالمعاصي، كل هذه الأفعال تولد ردة فعل لدى أي إنسان غيور على دينه، يحب

الله ورسوله، فلا يجتمع في قلب واحد حبان لا يلتقيان، فالمسلم لن يقوى فعل ممارسة عقلية ضد كافر ما لم يكن يكرهه، يكرهه لا لكونه إنسان، فالإنسانية لها حقوقها أحيانا في ظروف معينة كأن تكون طبيبا وتعالج الناس لا تستثني منهم المشرك والمؤمن، أما الممارسات العقلية التي يتوجب عليك عملها ضد المشرك فهي فيما يتعلق بالدين.أؤمن أن الإنسان المسلم إذا كان يكن للمشرك الحب فهذا قد يعيق الممارسة العقلية التي قد تحتم عليه فعلا ما في وقت ما من الأوقات، وهذ يفتح بابا للشيطان بأن يلين المسلم له ويضعف، وقد يصل إلى حد المساومة . أما من يؤمنون بأن الوجدان والممارسات العقلية شيئان منفصلان فيستدلون أحيانا بجواز نكاح المؤمن من الكتابية والرد يكون أن نكاح المؤمن من الكتابية غير جائز إلا أن تكون من أهل الذمة فقط، والكتابية في الدولة الإسلامية فرصة فعلها للمحرمات تكون أقل بكثير من الكتابية الغير ذميه، وإذا كان البعض يرى أنه من الغير المنطقي أن يحل الإسلام شيئا يولد البغضاء والكره في نفوس الأبناء لأمهم، فكيف يوافقون على تحليل الممارسات العقلية ضد الكتابية وهي أم، ويستنكرون بغض الأم وكراهيتها، رغم أن البغض والكره أهون من الممارسات العقلية، لأن البغض والكره قد لا يظهر تأثيره على الشخص لأنه مسألة سرية في قلب الشخص ووجدانه في حين أن الممارسات العقلية هي أفعال ظاهرة وملموسة وأقوى تأثيرا من الوجدان الصامت،ثم أن البغض للمتبري منه لا يبيح أن يقل المسلم حيائه معه أو يظلمه ويقسو عليه أو يعامله كالحيوان أو البهيمة، فشنآن القوم لا يمنع من العدل وبر الوالدين لا يبيح الكذب عليهما وخيانتهم

وعدم الوفاء معهما، وربما هنا صار اللبس مع الذين يرون أنه يجب عدم كره الشخص الفاسق أو الكافر، فالشخص وإن كان كافرا أو فاسقا لا يجوز ظلمه أو عدم الوفاء في عهده أو الكذب عليه، وهذا شيء والممارسات العقلية المباحة المتعلقة بالوجدان شيء آخر، فالرسول صلى الله عليه وسلم حفظ عهد اليهود في المدينة، وعدل مع اليهودي المظلوم، وزار جاره الكافر المريض، وهذه كلها من الأخلاق التي لا يجب التنازل عنها سواء مع الكافر أو المؤمن، وهذا لا يتنافى مع أن الرسول كان يكره كل من يعصي الله ولا يعترف بنعمته عن طريق جحوده .

ثم لنأتي لنقطة أخرى من نقاط الموضوع، وهي السؤال التالي: ما الغرض من ولاية شخص أو البراءة منه؟ وهل البراءة من شخص فعليا فقط مع حبه ومودته سيؤثر في سلوكيات المتبرىء منه؟ طالما أن الكل يحبه ويوده ويعطف عليه قلبيا .أنا حقيقة أؤمن أن البراءة جاءت كوسيلة من وسائل التأديب النفسية التي يقوم بها المؤمن ضد الفاسق أو المشرك، تجعله يشعر في قرارة نفسه أنه مخطئ وتجعله يراجع نفسه كثيرا ويدرس موقفه جيدا، فإذا علم الفاسق أو المشرك أن الكل يحبه ويوده فإن تأثير الممارسات العقلية سيتلاشى ولن يكون له أي أثر. أما في مسألة المشرك أو الفاسق الباحث عن الحق والحقيقة الذي حيائه سؤال المسلمين عن دينهم ويرغب في التوصل للحقيقة فإني أرى أنه من الأولى عدم إظهار هذه المشاعر والممارسات العقلية ضده والأولى دعوته للإسلام بحسن الخلق، حتى يثبت عكس ذلك سواء في إصراره على كفره وشركه أو إبدائه الرغبة في محاربة هذه لا أفكار. والله أعلم بحقيقة الأمر .

الهواية

الهوية كما هي متعارف عليها نشاط يقوم به الإنسان في فترة الراحة والنقاهة بغرض الفائدة أو أحيانا كثيرة بغرض الحصول على المتعة والفائدة، رغم ذلك فالهواية ينبغي ألا تكون في أمر غير مفيد أو يعود على النفس أو الجسد بالضرر، لأنها لو كانت مضرة لما كانت هواية، بل لكانت انتحارا خفيا.الهواية مهمة جدا في الحياة، فلو جئنا لنحسب عدد الساعات التي يكون فيها الإنسان فارغا في الأسبوع -وذلك بعد طرح عدد ساعات النوم والأكل وقضاء حاجاته الأساسية وعدد ساعات الدوام- لوجدنا أن هناك تقريبا أربع ساعات كحد أدنى يكون فيها الإنسان فارغا يوميا، ولمن المؤسف أن أغلب الشباب في بلدي يقضون هذه الأوقات في ثلاثة أشياء إما الشاشة أو الشيشة أو المقاهي لشرب الشاي وأحاديث السمر، ولو تم استثمار هذه الأوقات ليكتسب الإنسان مهارة ما، تنمي من قدراته الذهنية والجسدية أو الروحية لكان فيها الخير الكثير. لا ينبغي الاستهانة بهذه الأوقات فعددها في الأسبوع الواحد مع أيام العطلة الجمعة والسبت هي تقريبا فوق 40 ساعة، أي أنه أكثر من معدل دوام شخص في دوام رسمي بشهادة جامعية.

كنت قبل مرضي لا أقوى على فعل أكثر من شيء أو الاهتمام بأمرين في آن واحد، ولكن بعد العلاج أصبحت لدي مرونة و استطيع أن أركز في أكثر من عمل في اليوم الواحد، تحسنت قدراتي كثيرا، وخاصة هوايتي المفضلة الكتابة والقراءة، على الرغم أن الكثيرين يعتبرون أن القراءة أسلوب حياة ونمط معيشة وليست هواية، إلا أني أراها بأسلوب يشبه هذا الأسلوب لكن يختلف عنه قليلا، فأنا أرتاح واستمتع بالقراءة ولا اعتبرها شيء إجباريا أجبر نفسي على القيام به لأنه ضروري فقط، مثل الشرب أو الأكل أو قضاء الحاجة، القراءة هواية ممتعة تجعلني أفرغ كل طاقاتي الذهنية وأرتاح من تراكماتها المؤلمة في عقلي، والكتابة وسيلة من وسائل البوح، والبوح مصدر راحة وسعادة للإنسان، لأنه يشعر أن هناك أحد يستمع له عندما يتكلم، لذلك أعتبر القراءة والكتابة هوايتان أكثر من اعتباري أنهما أسلوب أو نمط حياة. العقاقير التي أتناولها تجعل لدي شغف كبير لهما، أنهيت بعد علاجي فقط فوق 70 كتاب، رغم شح المصادر والكتب التي أملكها، أشعر أن عقلي كان دولاب ملابس غير مرتب وأصبح الآن أكثر ترتيبا ونظاما.

نعود لنقطة الشباب والهواية، معظم الشباب في عمان لا يملكون هوايات، ليس لأنهم لا يريدون، بل لأن المنشآت والنوادي قليلة في عمان، لذلك فلدى الشباب حلين لا ثالث لهما: إما أن يقنع ويبحث عن هواية بسيطة غير مكلفة مثل الرسم أو الكتابة والموسيقى، أو أن يبذل مالا كثيرا لإلتحاق بالنوادي، قلة النوادي وغلاء ثمنها تجعل طاقات كبيرة من الشباب تتبدد ولا يتم استغلالها، وعلى الرغم من أن الحكومة

تدرك هذه المأساة فإنه لا بوادر للتغير وخاصة مع انهيار أسعار النفط في الآونة الأخيرة. فالله في عون الشباب، ما دامت الحكومة لا تجد لإعانتهم سبيلا.

ذكريات مبعثرة

لا أزال أذكر أول يوم لي في المدرسة، الكل خائف يبكي ويريد أمه سواي ؛ ربما لأني كنت منشغلة في تحليل سبب بكائهم ؛ أو لأني كنت أفكر ماذا بعد دخولي هذا، كعادتي في التخطيط للمستقبل، لست لأني أخاف المستقبل، بل لأني أقدره وأحسب له حسابا عظيما. في فترة الاستراحة كنت لا أخرج من الصف، الكل يلعب ويمرح، إلا أنا ، لا أحب اللعب، أو لأني اكتفيت منه في مرحلة طفولتي، كنت في طفولتي أعدو بسرعة، واكتب بسرعة، وأتكلم بسرعة في أيام مشاركتي في معرض للتنمية البشرية في الجامعة، كنت من ضمن البنات اللواتي أعددن الديكور، كنت أقص الأوراق بسرعة هائلة جدا، حتى أن زميلتي لاحظت هذا وقالت لي : «أنت سريعة جدا نورا»، السرعة محور فعلي لمعظم الأشياء، فأنا عندما أخاف أتحدث بسرعة هائلة وملحوظة، لدرجة أن الكل لا يفهم معظم ما أقوله، في صغري كنت هادئة جدا، بدأت مرحلة تحولي للمشاكسة عندما دخلت مرحلة الإعدادية، من كثرة الجري في المدرسة، كانت زميلتي تقول لي : «أنت لا تتعبين، تركضين طيلة اليوم، نحن نتعب لا نقدر على هذا»، كنت أحب الرياضة كثيرا ؛ لكن بسبب إهمال المناهج

لها لم أكترث لها، كانت مملة جدا في المدرسة، بدأت أوليها عناية فائقة عندما دخلت الجامعة فقط، رغم أني لم أكن أشارك في أي مسابقة دولية أو محلية، فقط كنت أشارك في اليوم الرياضي للكلية. في أحد مرات مشاركتي في اليوم الرياضي للكلية، كنت في فريق كرة اليد وكانت حارسة المرمى في الفريق الخصم الأولى في هندسة الكهرباء، وضعني القدر في مواجهة معها وجها لوجه، فلقد تم تمرير الكرة إلي، وكنت في خط الهجوم، لا أدري ما الذي جعلني أعرف أن الطالبة لديها القدرة على التخاطر معي، أما أنا فكانت لدي القدرة على إرسال كلام مخالف لما أفكر فيه، أدري أن هذا الكلام صعب فهمه وتصديقه، ولكن هذا ما حصل فعلا،أرسلت لها كلام بمجرد نظري لعينيها بخلاف ما أفكر فيه،كنت أعلم أنها تسمعني، ولا أدري كيف عرفت فقط عرفت ذلك وكفى، ما كان منها إلا أن تحركت في الجهة التي أريدها، وسددت الكرة في الجهة المخالفة لذلك، فدخل هدف لصالح فريقي في مرماها، وتكرر الموضوع مرة أخرى، ولكن كنت أعلم أنها فهمت لعبتي، فسددت الكرةفي نفس المكان الذي أرسلته لها بالأفكار، فدخل الهدف الثاني مرماها، بعد ذلك كنت أصرخ من الفرح وأدور حول نفسي طيلة الملعب، إلى أن أصبت باختناق شديد في التنفس استمر لمدة خمس دقائق كدت أفقد فيه روحي.

رغم العزلة التي كنت أحبذها في الجامعة -على خلاف المدرسة فقط كنت أم الأعمال الاجتماعية والتعارف- كنت سعيدة بعزلتي ووحدتي وكان هذا قبل مرضي، كنت نادرا ما أشارك في الأنشطة لأسباب كثيرة لا داع لذكرها هنا،كنت أهتم

بالقراءة أكثر من أي فعل آخر، ربما هذا الذي أثر في نمو عقلي بمراحل متقدمة كثيرة مقارنة بأيام المدرسة. يقال أن العزلة جميلة وأنا أراها سلاحا ذو حدين، وكل هذا يعتمد على نفسيتك وأنت تدخلها.

مررت بمواقف كثيرة في الجامعة، من مضايقات، وتجريح، وسخرية، ولكن نادرا ما مررت بموقف ثناء أو مدح، رغم أني كنت الأولى على تخصص الهندسة الكيميائية، عموما لا يهمني المديح فأنا إنسانة واثقة من ذاتي، ومدحهم أو سخريتهم لن يغير من طموحي أو هدفي شيء. رغم ثقتي الشديدة بالنفس-الكل لاحظ هذا- فإن لموعد الامتحانات أمر آخر، أنا لا أخاف الامتحانات، لكن أحيانا أصاب بنوبة غريبة تجعل يدي تهتز بصورة أعاينها بنفسي ولا أدري سببها، هذا لا يقتصر على يدي فحسب، وأحيانا في مواقف غير الامتحانات مثل تقديم حفل أو إلقاء خطاب، تهتز رجلي بدرجة عنيفة جدا، ولا تتوقف حتى تمضي برهة يسيرة من الزمن أقصاها دقيقتان .عندما مرضت واشتدت حالتي، كان والدي يقرأ على رأسي بعض من آيات الذكر الحكيم، وفجأة تهتز رجلي اليسرى من فوق إلى تحت وأنا مستلقية على السرير. لا أدري ما سر هذا الاهتزاز، فتشخيصي الطبي النفسي لا يذكر أن الاهتزاز من أعراض مرضي المشخص، ربما الأمر عادي،أو ربما هناك سر لا يعلمه إلا الله. الله أعلم بحقيقة الأمر.

في حياتي لم أكترث بشخص شيوخ الإمارات، ولا أمرائهم، وعندما مرضت من أول يوم كنت أردد اسم «فزاع»، لا أدري ما سر هذا الرجل، ولا أدري ما الذي ذكرني به فور إصابتي بالجلطة بساعات معدودة فقط. بعدها قمت بتصفح موقع

الشيخ حمدان آل مكتوم، ووجدت أمورا كثيرة أثارت في نفسي الأوهام وأدخلتني في نوبة من الهلوسات الحادة، لم تنتهي إلا وأختي تقترح أن نذهب لزيارة الإمارات مكان ميلادي مع أهلي هناك، زرنا أسواقا كثيرة وفي أحد المرات رأيت صورة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم في غلاف مجلة، وآلمتني عيني اليسرى بقوة، وهذه العين لم تؤلمني في حياتي قط إلا بعد اشتداد مرضي فقط. كلها أسرار تجعلك لا تخرج من هذه الدوامة إلا وأنت مؤمن أن العالم كله بيد سر كبير اسمه «الله»، فتبارك الله أقدر القادرين.

في المدرسة كنت أحب الشعر كثيرا، حتى أني كنت احتفظ بصورة عالم الشعراء وشاعر العلماء أبي مسلم البهلاني في محفظتي، وعندما دخلت الجامعة توقفت عن كل ما يخص الشعر والكتابة أيضا ولم يعاودني حبه إلا بعد أن وقعت طريحة الفراش بسبب مرضي. كان لدي دفتر بنفسجي اللون كنت أكتب فيه كل أشعاري وأتخذه مفكرة لكل ما يدور في خاطري، وكان لا يزال عندي إلى أن فقدته عند دخولي للجامعة ولم أتذكر أني فقدته إلا الآن فقط وأنا أكتب هذه العبارات.

ربما لأن ما كتبته فيه لا يزال صغير التطلعات قصير المدى، فلم أبالي بفقده، أو ربما شاء الله أن أنسى ما فيه من آلام وضيق وهم وأبدأ حياة جديدة، لم أكن أعلم بأني أغلقت صفحة سوداء لأفتح ألف صفحة سوداء في الجامعة.

المهم أن الأوراق البيضاء لم تنتهي بعد، طالما أن الذي يمنحني إياها هو علام الغيوب، يعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسه، فالحمد لله أولا وأخيرا على كل شيء.

سبق أن قلت أني لست مجولة من مرضي، لأن الذي أهداني إياه هو الله، نعم اعتبره في أحايين كثيرة أنه هدية، لا لأني استمتع بتعذيب نفسي به، بل لأنه كان مفاجأة لي مغلفة بكل مواقفي وأحداثي التي واجهتها في حياتي، أي أنه لم يأتي بدون مناسبة، بل جاء بمناسبة، شأنه شأن كل الهدايا التي تمنح في المناسبات، أحببت في نهاية كلماتي أن أوجهها إلى من يعاني مثل حالتي، أن يستثمرها في ما ينفعه، وأن يحاول التأقلم مع المواقع لا مواجهته لها، فالمواجهة حرب، لا يكون نتيجتها إلا الدمار، بل يتأقلم، فإن شد المرض حبال صبره عليه أن يرخي وإن أرخى المرض عليه أن يشكر الله أولا وأخيرا . رغم أن الأدوية تسبب لي ضعف ذاكرة هائل -هذا يعلل شح المعلومات الواردة في هذا الكتاب- فإني لا أنصح أحدا بالتوقف عن تناولها، لأنه قدرك الذي لا بد منه، فقط تقبل هذا وأقبل على الله بقلب خالص عسى أن يغادرك البلاء ويشفى عقلك وتتعافى حياتك وتعود الأمور أفضل مما كانت.هذا ولا تنسوني من صالح دعائكم والسلام وكفى !

النهاية

"وقل ربي زدني علما"

تم بحمد الله

الفهرس

مقدمة الناشر.....5
كيف كتبتك؟.....8
Do not lose hope.....13
I am proud of you 15
الفضول.....17
إياكم نعبد وإياكم نستعين.....19
بداية الصراع.....21
إجابة فلسفية.....23
الجمال.....25
الصورة والإثارة.....28
الفراغ والغيبة.....30
الألم والتيه.....33
عذرا إسلامي.....35
اللـــه.....37
السر المحرم.....39
خالف تعرف.....41
أسراري الصغيرة.....43
لـمـاذا؟.....45
هل الخبث عبقرية؟.....46
القناعة والطموح.....46
الرياضة.....51
السمعة.....53
السر.....55
الاكتئاب ورسالة مشفرة.....57
بوح قلب وليلة حزينة.....59
مهارة التواصل.....61
الحب.....63
كيف تذاكر؟.....65
المهدي والصفعة.....67
محمدصلى‌الله‌عليه‌وسلم.....69
رسالة مشفرة.....71
الجهاد.....72
الصلاة.....74
الزواج.....76
الحرية.....78
الحــق.....80
الطموح.....81
الوحدة.....83
الـمـوت.....85
الجنون.....87
درس الثقة.....89
الشهرة.....91
الصمت.....94
الفقر والثراء.....96
الدنيا دوارة.....98
القــدر.....100
الجنة والنار.....102
العائلة ورسالة مشفرة.....104

الهلوسات.....106
السؤال.....108
البقاء لمن؟.....110
الثقافة.....112
كفى بالنوم انتحارا.....116
رسالة مشفرة.....117
خلطة سحرية.....118
أمنية.....119
زهد أم استهتار!.....120
كان يا مكان.....122
فضفضة ووردة.....124
لماذا كتبت كتابي؟.....125
الموسيقى.....127
هذيان ليلي.....129
بداية سنة جديدة.....131
العلم والقرآن.....132
من أنا؟.....134
الثــأر.....136
الحلم.....138
مقارنة.....140
الخيال.....142
الرجل.....144
الاحترام.....146
متى أتألم؟.....147
خربشات.....149
أنا أعرف ويش أقول لربي؟.....150
لحظة انفصام.....152
رسالة مشفرة.....154
الهندسة.....155
سيارتي.....157
الذكريات.....159
لغة اللون.....161
قصة قصيرة.....163
غريبة.....164
أسئلة فلسفية.....165
حيرة.....166
خيال واسع.....167
جنون.....168
لطيفة.....169
ليلة بكى القمر!.....170
سكرانة.....172
العجائز.....175
البكاء.....177
التخاطر.....179
حرارة الجسد 181
حمقى.....184
الغرور.....186
سؤال علمي ديني.....188
SALATA 190
رسالة مشفرة.....192
قراءة وسؤال.....193
الهواية.....196
ذكريات مبعثرة.....199